مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

شعر ابن زمرك الأندلسي:

وثيقة تاريخية

د. رمضان عيد محمد بدر

مدرس الأدب الأندلسي بقسم اللغة العربية

كلية الألسن – جامعة الأقصر

DOI: 10.21608/qarts.2022.112372.1326

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد (٥٥) أبريل ٢٠٢٢

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

شعر ابن زمرك الأندلسي: وثيقة تاريخية

إعداد

د. رمضان عيد محمد بدر

مدرس الأدب الأندلسي بقسم اللغة العربية

كلية الألسن – جامعة الأقصر

dr.ramadan_eed@alsun.luxor.edu.eg

الملخص باللغة العربية:

يسعى البحث إلى إبراز قيمة شعر ابن زمرك الأندلسي الوثائقية التاريخية، فقد عاش شاعرنا في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، وشهد ما جرى من أحداث متنوعة في ظل مملكة بني الأحمر أحداث "سياسية وفكرية واجتماعية واقتصادية" في ظل سلاطين وخلفاء البيت النصري، ومنهم السلطان الغني بالله، والسلطان أبي الحجاج يوسف الثاني، والسلطان محمد السابع، وهذه الأحداث منها ما أشارت إليه كتب التاريخ ومنها ما غضت الطرف عنه، إضافة إلى ما شهدته تلك الفترة من علاقات تربط مملكة بني الأحمر بجيرانها من أهل العدوة المغربية والقشتاليين، وانعكست هذه الأحداث كلها في شعره، يرصد من خلالها كثيراً من الأسماء والأماكن، ويذكر عديداً من التواريخ المهمة، ليغدوا شعره من خلال ذلك كله وثيقة تاريخية مهمة .

الكلمات المفتاحية: الشعر الأندلسي؛ ابن زمرك؛ الوثيقة التاريخية؛ القرن الثامن الهجري؛ سلاطين بني الأحمر.

المُقدِّمــة:

شهد القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي تقدماً ملحوظاً في مجالي الشعر والنثر، ساعد على نموه ونضجه خلفاء وسلاطين البيت النصري، فقد اشتهر السلطان الغني بالله بحماية الآداب والفنون والعلوم ورعايتها على حذو أبيه السلطان أبي الحجاج يوسف الأول، وكذلك السلطان أبي الحجاج يوسف الثاني، والسلطان محمد السابع .

وكان شعر ابن زمرك الأندلسي انعكاساً للأحداث المتنوعة في ظل هؤلاء الخلفاء والسلاطين، فقد لازم شاعرنا السلطان محمد الخامس الملقب بالغني بالله سبعة وثلاثين عاماً، وفي ذلك يقول: "خدمته – أي الغني بالله – سبعاً وثلاثين سنة: ثلاثاً بالمغرب، وباقيها بالأندلس، أنشدته فيها ستاً وستين قصيدة في ستة وستين عيداً"(١)، واستمر ابن زمرك الأندلسي وزيراً لكل من السلطان أبي الحجاج يوسف الثاني والسلطان محمد السابع.

وشعر ابن زمرك الأندلسي مادة غنية جديرة بالدراسة والبحث، لما عكسه نتاجه الشعري من قدرة على تصريف المعاني، وكفاءة في تكييف الأساليب، مما جعله قيمة أدبية "تاريخية وثائقية"، غنياً بالأحداث التاريخية المهمة، وسجلاً للانقلابات السياسية والمنافسات والوقائع الحربية التي دارت غمارها بين مملكة بني الأحمر وبين النصارى الأسبان، إذ يعد ديوان ابن زمرك الأندلسي مصدراً مهماً في جملة المصادر الأدبية والتاريخية التي تحدثت عن مملكة بني الأحمر.

ابن زمرك الأندلسي (٧٣٣-٧٩٧هـ):

لمحة عن الشاعر وحياته[*]:

هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد الصريحي، يُكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن زَمرك وبابن زُمرك بفتح الزاي أو ضمها، كانت أصول أسرته من شرقي الأندلس، وسكن أسلافهم غرناطة في ربض البيازين[٢].

ولد ابن زمرك الأندلسي في الرابع عشر من شوال عام ٧٣٣هـ الموافق التاسع والعشرين من يونيه من عام ١٣٣٣م، وكانت أسرته متواضعة الحال، ويبدو أن أباه لم يكن من ذوي السلطان ولا من ذوي العلم والمكانة الاجتماعية المرموقة؛ ليذكر وتتناقل أخباره الكتب والرواة، حيث كان والده يحترف الحدادة، لكن قدرات شاعرنا الجسدية لم تكن تسعفه لاحتراف مهنة الأب، فقد نشأ ضئيلاً[٣]، وظهر نجمه كالشهاب يتوقد ذكاء، وهو ما حدا بوالده أن يوجهه نحو العلم والتعلم[٤].

نشأ ابن زمرك الأندلسي في هذه المدينة، وتلقى علومه وثقافته وظهر نبوغه في العلوم الشرعية والنحوية والأدبية وغيرها، التي حصلها على أيدي مجموعة من كبار علماء بني الأحمر في هذا الوقت، وقد أشار ابن الخطيب في الإحاطة إلى نوع العلم الذي أخذه عن كل منهم فقال: "وقرأ العربية على الأستاذ رحلة الوقت في فنها أبي عبد الله بن الفخار، ثم على إمامها القاضي الشريف، إمام الفنون اللسانية، أبي القاسم محمد بن أحمد الحسني، والفقه والعربية على الأستاذ المفتي أبي سعيد بن لب، واختص بالفقيه الخطيب الصدر المحدث أبي عبد الله بن مرزوق، فأخذ عنه كثيراً من الرواية، ولقي القاضي الحافظ أبا عبد الله المقري عندما قدم رسولاً إلى الأندلس وذاكره، وقرأ الأصول الفقهية على أبي منصور الزواوي، وروى عن جملة، منهم القاضي أبو البركات ابن الحاج، والمحدث أبو الحسن بن التلمساني، والخطيب أبو عبد الله بن اللوشي، والمقرئ

أبو عبد الله بن بيبش. وقرأ بعض الفنون العقلية بمدينة فاس على الشريف الرُّحلة الشهير أبي عبد الله العلوي التلمساني، واختص به اختصاصاً لم يخل فيه من إفادة مران، وحنكة في الصناعة"(٥).

كان ابن زمرك الأندلسي كثير الترحال، فقد ترك مسقط رأسه متجهاً إلى عدوة المغرب لطلب العلم، مؤثراً التعلم على التعليم، وقد عاد بعد ذلك إلى مملكة بني الأحمر، واتصل بشيخه لسان الدين ابن الخطيب "الذي ما إن ألقيت إليه مقاليد الوزارة ٧٤٩هـ في عهد يوسف الأول أبي الحجاج والد الغنى بالله سماه كاتباً في ديوانه وعمره لم يتجاوز سبعة عشر عاماً"(٦)، وقد مكث ابن زمرك على حاله هذا كاتباً في البلاط الملكي مدة خمس سنوات، حتى عام ٧٦٠هـ وهو العام الذي شهد ثورة على حكم الغني بالله وعلى إثرها فرّ هارباً إلى عدوة المغرب حيث السلطان أبي سالم المريني الذي أحسن وفادته واستقبله أحسن استقبال(٧).

لحق ابن زمرك بسلطانه المخلوع إلى عدوة المغرب، وظل قريباً منه، حتى هش له السلطان النصري، وأنس به، ولما رجع السلطان إلى مسقط رأسه بعد أن استرد ملكه المفقود رعى له هذا الصنيع اتجاهه، وعقيب استقرار الأمور في المملكة الغرناطية أصدر مرسوماً سلطانياً، جدد فيه الوزارة للسان الدين بن الخطيب وتعيين ابن زمرك كاتب سره وذلك في عام ٧٦٣هـ(٨)، وظل في هذا المنصب إلى أن جاء عام ٧٧٣هـ، الذي شهد حدثاً خطيراً، غيّر مسار الحياة السياسية في مملكة بني الأحمر، وهو فرار الوزير لسان الدين بن الخطيب إلى المغرب، تاركاً مملكة بني الأحمر إلى تلمسان حيث كان السلطان عبد العزيز المريني يقيم، وكان ملك المغرب آنذاك، وذلك بتفاهم سابق بينهما "فقصد إليها ابن الخطيب واستقبله السلطان بحفاوة، وأنزله أكرم منزل، وبعثه سفيراً إلى الأندلس، ليسعى في استقدام أسرة الوزير المنفي، فأتى بها معززة مكرمة"(٩).

تولى ابن زمرك الأندلسي مقاليد الوزارة للسلطان الغني بالله، ثم لابنه من بعده السلطان أبي الحجاج يوسف الثاني، ثم لابنه السلطان محمد السابع، وخلال هذه الفترة ظل يتقلب في ديوان الإنشاء حتى ظفر برياسته .

ولعل أهم حدث رئيس في حياته كان متمثلاً بدخوله السجن في عهد السلطان أبي الحجاج يوسف الثاني، ثم مقتله في عهد ابنه السلطان محمد السابع، وسبب سجنه الأول هو اغتراره بنفسه وظنه أنه صار يحتل المكانة السامية، وأن السلطان الغرناطي لا يستطيع الاستغناء عنه، مما حدا به إلى الازدراء بغيره من الكتاب والحجاب وأصحاب المنزلة الرفيعة، يقول صاحب النفح :"وغلبت الإحن عليه وغلت مراجلها لديه، فصار يتقلب على جمر الغضا، ويتبرم بالقضا، ويظهر النصح في طيه التشفي، ويسم نفسه بالصلاح، ويعلن بالخشوع، ويشير بأنه الناصح الأمين، وقد رتب على المشتغلين كبيرهم وصغيرهم ذنوباً لم يقترفوها، ونسب إليهم نسباً من التضييع لم يعرفوها، وأنهم احتجنوا الأموال، وأنهم أساؤوا الأعمال والأقوال"(١٠).

عفا السلطان الغرناطي عن وزيره وأحسن إليه، وظل رئيساً لديوان الإنشاء إلى أن توفي أبو الحجاج يوسف الثاني فخلفه ولده السلطان محمد السابع، فاستمر ابن زمرك وزيراً للملك الجديد لمدة أيام قلائل، ثم عزله السلطان لسوء خلقه واغتراره بنفسه، وأقام مكانه الفقيه أبا بكر بن عاصم(١١)، الذي استمر وزيراً ما يقرب من سنة واحدة، ثم أعيد ابن زمرك مرة أخرى إلى الوزارة بعد أن "دمثت بعض أخلاقه، وخمدت شراسته وحلا بعض مذاقه"(١٢)، لكنه بعد عودته إلى منصبه رجع إلى ما كان عليه من قبل، حيث التيه والكبر والخيلاء، فكان لابد من وضع نهاية لهذه الأوضاع المتردية والمتسلطة، فقد ضاق الملك ذرعاً بهذه الأفعال، فصار في شك من أمره، فأوعز لبعض أعوانه بالقضاء عليه، فدخلوا عليه في جنح الليل في جوف داره، وهو رافع يديه بالمصحف، فجدلته السيوف

وتناولته الحتوف بأمر من مخدومه السلطان فقضى عليه وعلى من وجد من خدامه وابنين له، كل ذلك بمرأى عين من أهله وبناته، فكانت أنكى الفجائع، وأفظع الوقائع[١٣].

وهكذا انتهت حياة ابن زمرك الأندلسي قتيلاً بنفس الطريقة التي دبرها وخطط لمقتل شيخه ابن الخطيب، وكان وفاته عام ٧٩٧هـ[١٤]، ويرى صاحب النفح أن الجزاء من جنس العمل، بل أشد "إذ لسان الدين قتل غيلة بليل غاسق، على يد مختلس في السجن فاسق، وأما ابن زمرك فقتل بالسيف جهاراً، وتناوشته سيوف مخدومه بين بناته، إبداء للتشفي وإظهاراً، وقتل معه من وجد من خدمه وابناه، وأبعده الدهر وطالما أدناه. وهكذا الحال في خدام الدول وذوي الملك، أنهم أقرب شئ من الهلك، ويرحم الله من قال: إياك وخدمة الملوك فإنهم يستقلون في العقاب ضرب الرقاب، ويستكثرون في الثواب رد الجواب"[١٥].

شعره :

كان ابن زمرك الأندلسي إلى جانب ما ذكر شاعراً مطبوعاً، ويذكر المؤرخون والأدباء أن لابن زمرك نظماً جيداً، وله الموشحات البديعة، حيث قال عنه لسان الدين بن الخطيب : "وشعره مترام إلى نمط الإجادة، خفاجي النزعة، كلف بالمعاني البديعة، والألفاظ الصقيلة، غزير المادة"[١٦].

ويؤيد هذا ما ذهب إليه السلطان يوسف الثالث "جامع ديوانه" حيث يقول عن أشعاره إنها : "قلائد عقيان، وعقود در ومرجان، ترتاح النفوس النفسية لإنشادها، وتحضر الأبصار والأسماع عند إيرادها"[١٧].

ويوضح أبو العباس أحمد بن عمار صاحب كتاب "نحلة اللبيب" سماته الشاعرية المبرزة لنبوغه قائلاً إنه :"نسيج وحده في حلاوة النظم وطلاقته، ورقة المنزع ورشاقته"[١٨] ثم يقول :"وقصائده كلها غرر، ويواقيت ودرر"[١٩].

ويرى الدكتور شوقي ضيف أن "ابن زمرك بدون ريب – آخر الشعراء الأندلسيين المبدعين"[٢٠].

ويجعله الدكتور أحمد سليم الحمصي مع أستاذه ابن الخطيب "أكبر شاعرين غرناطيين في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي"[٢١]، وأنه يستحق في الواقع أن يذكره التاريخ مع من يذكرهم من كبار الشعراء"[٢٢].

وقال محمد عبد الله عنان : "وكان الوزير ابن زمرك تلميذ ابن الخطيب، وخلفه في الوزارة : أعظم شخصية تزعمت من بعده الحركة الأدبية بالأندلس"[٢٣]، وفي موضع آخر نراه يحكم بأن شاعريته تفوق لسان الدين بن الخطيب، يقول : "ويلوح لنا أنه قد يتفوق في شاعريته على أستاذه "ابن الخطيب"[٢٤].

ومن المستشرقين نجد آنخل بالنثيا الذي يفضل شعره بقوله:"إن شعره أنغام راقصة متدفقة، ترقص على وقعها الزهور والنجوم، وتفيض بالأخلية والتشبيهات المتشابكة، وإن من يعرف هذه القصور؛ ليجد في ذلك الشعر تصويراً بديعاً رائعاً لها"[٢٥].

وذكر عنه إميليو غرسيه غومس : "إنه كان آخر شاعر عظيم في الأندلس"[٢٦] وأنه كان بلبل الحمراء الغريد"[٢٧]. وقيل أيضاً إنه آخر شاعر فحل أطلعه الأندلس"[٢٨]، وأنه آخر علم من أعلام الشعر الأندلسي"[٢٩].

ولابن زمرك الأندلسي ديوان شعر مطبوع[٣٠]، سجل فيه كثير من أحداث زمانه، وتصويراً لحياته وتعبيراً عما خفق به قلبه. وقد جمع شعره من بعد حفيد الغني بالله، الذي حكم مملكة بني الأحمر، وهو يوسف الثالث، وقدم لديوانه بنبذه عن حياته وسبب مقتله. وقد احتفظ المقري في أزهار الرياض بمعظم ذلك الكتاب[٣١].

والأغراض الشعرية التي طرقها ابن زمرك الأندلسي متنوعة، ما بين مدح، ووصف، ورثاء، وغزل، وتصوف، وإخوانيات، وزهد، وشكوى، وغيرها، مما يمثل إحدى المجموعات الشعرية الكاملة لأديب أندلسي. لكن أبرز هذه الأغراض وأشيعها في شعره المدح والوصف والغزل.

شعر ابن زمرك الأندلسي وثيقة تاريخية:

كان لمملكة بني الأحمر منذ نشأتها عام ٦٣٥هـ وحتى سقوطها عام "٨٩٧هـ"علاقات مع جيرانها المغاربة والقشتاليين، ولم تسر هذه العلاقات على وتيرة واحدة، بل كانت تمر أحياناً بمراحل من الخلاف والفتور، وأحياناً أخرى يسودها الود والوئام، لكنها لم تغير من موقف الدولتين تجاه مملكة بني الأحمر إذ كانتا متحينتين الفرصة للإيقاع بها والنيل منها(٣٢).

وقد عمت أرجاء مملكة بني الأحمر خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، أحداث متنوعة بين أهل المملكة وأهل العدوة المغربية والنصارى الأسبان، منها ما أشارت إليه كتب التاريخ ومنها ما غضت الطرف عنه، إضافة إلى ما شهدته تلك الفترة من أحداث داخلية كان لها أهميتها البالغة في تحريك سياسة المملكة، ونتائجها التاريخية المتنوعة .

ورصد الشعر الأندلسي كثيراً من هذه الأحداث التاريخية المهمة التي عاصرتها مملكة بني الأحمر، وأسهم في توثيقها إسهاماً فاق كتب التاريخ والآثار أحياناً .

وكان لابن زمرك الأندلسي باع طويل في هذا الميدان، فغدا شعره وثيقة سياسية وتاريخية مهمة، ترصد الوقائع والأحداث التي عاشها شاعرنا في كنف سلاطين وخلفاء مملكة بني الأحمر، ومنهم السلطان محمد الخامس الملقب بالغني بالله(٣٣)، والسلطان أبو الحجاج يوسف الثاني(٣٤) ، والسلطان محمد السابع(٣٥)، فقد سجل شاعرنا المنافسات

السياسية والانقلابات والوقائع الحربية التي دارت غمارها بين مملكة بني الأحمر وبين النصارى الأسبان .

ولم يكن ابن زمرك الأندلسي يعيش بمنأى عن هذه الأحداث السياسية التي عاصرتها مملكة بني الأحمر، بل إنه كان ضلعاً فيها، يعاصرها ويعايشها عن قرب، ويرصد الكثير منها في شعره، ويصور جانباً من جوانب الحياة السياسية في ظل خلفاء وسلاطين البيت الحاكم، ففي قصائده إشارات تاريخية واضحة ومهمة تزيد التاريخ الأندلسي جلاء وتفصيلاً، وتكمل ما أغفله من معلومات وحقائق دقيقة، وهو ما يؤكد الأهمية التاريخية لقصائد ابن زمرك الأندلسي ويجعلها في عداد الوثائق التاريخية الأصيلة في موضوعها .

ويبدو من شعر ابن زمرك أن علاقته بشيخه لسان الدين ابن الخطيب[٣٦] قد مرت بمرحلتين مختلفتين[٣٧]، الأولى وهي مرحلة الصفاء وتبادل المحبة، وفيها نجد اعترافاً من التلميذ بالفضل والإنعام لشيخه، الذي رعاه وتعهده منذ كان تلميذاً يتردد عليه، حتى صنع منه سياسياً كبيراً وألحقه للعمل معه في خدمة سلاطين وخلفاء بني الأحمر، والثانية هي مرحلة العداء المستحكم وتبادل السباب والشتائم، وفيها يدرك لسان الدين بن الخطيب أن تلميذه كان من أكبر مروجي الإشاعات حوله، وامتدت يد الهجاء بينهما فترة طويلة، فأخذ ابن زمرك الأندلسي ينسج خيوط هجائه في شيخه ومن آواه بالمغرب، بل ويقصر هجاءه عليه ومن ذلك قوله : [الطويل]

فَأَخْبَرَ عَنْ شَيْخَيْ ضَلاَلٍ تَنَكَّبَا سَبِيْلَ الْهُدَى وَالْبَغْيُ يَكْبُو وَيَعْثُرُ

بِأَنَّهُمَا قَدْ أُلْبِسَا ثَوْبَ خِزْيَةٍ وَفَوْقَهُمَا ثَوْبُ الْمَنِيَّةِ يُنْشَرُ

وَإِنَّ وَزِيرَ الْغَرْبِ رَامَ مَكِيْدَةً وَدَبَّرَهَا مِنْهُ جَهُولٌ وَمُدْبِرُ

أَمِنْ بَعْدِ مَا أَوْلَيْتَهُ كُلَّ مِنَّةٍ يُقَابِلُهَا مِنْهُ كَفُورٌ وَمُنْكِرُ

وَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ العِنَايَةِ يَجْتَنِي أَزَاهِرَ رَوْضٍ بِالفَوَائِدِ يُثْمِرُ
أَقَامَ بِهِ يَرْتَاحُ عِشْرِينَ حِجَّةً يُدَرُّ لَهُ مِنْكَ الحِبَاءُ المُوَفَّرُ
وَمَلَّكْتَهُ دَارَ الخِلاَفَةِ بَعْدَهَا وَحَسْبُكَ نُعْمَى آخِرَ الدَّهْرِ تُذْكَرُ
فَصَارَفَهَا كُفْرَ الحُقُوقِ بِغَدْرِهِ وَمَا زَالَ عَبْدُ السَّوْءِ بِالْغَدْرِ تُذْكَرُ(٣٨)

شَهَّرَ ابن زمرك الأندلسي بشيخه لسان الدين بن الخطيب والوزير المغربي ابن غازي الكاسي(٣٩)وذلك عندما ورد الخبر إلى مملكة بني الأحمر من عدوة المغرب يشير إلى التمكن من ابن الخطيب وإيداعه السجن، ويركز ابن زمرك الأندلسي على النعمة التي كان يحظى بها شيخه في ظل السلطان محمد الخامس الملقب بالغني بالله، وكيف أنه عمل في البلاط الملكي ما يزيد على العشرين عاماً، فقد كان وزيراً لأبي الحجاج يوسف الأول من عام "٧٤٩ – ٧٥٥هـ" ثم عمل وزيراً للسلطان محمد الخامس الغني بالله من عام "٧٥٥ – ٧٦٠هـ"، وهو العام الذي لجأ فيه السلطان الغرناطي إلى العدوة المغربية حتى عام "٧٦٣هـ" والذي تمكن فيه السلطان من استعادة ملكه السليب، فأعاده وزيراً من عام "٧٦٣ – ٧٧٣هـ"، وهو العام الذي ترك فيه لسان الدين بن الخطيب بلاط بني الأحمر فاراً إلى عدوة المغرب حيث السلطان المريني عبد العزيز(٤٠) الذي أكرم وفادته، وهو بذلك قد كفر حق النعمة التي أسبغها عليه السلطان الغني بالله، فكان جزاؤه السجن ثم القتل بعد ذلك .

ونراه في موضع آخر يفحش في الهجاء، فيصف شيخه ابن الخطيب بالقرد، ويذكر فوز السلطان الغني بالله بالوزير المغربي ابن غازي الكاسي، فيقول :[الكامل]

قُولُوا لِقِرْدٍ فِي الْوَزَارَةِ غَرَّهُ حِلْمٌ مَنَنْتَ بِهِ عَلَى مِقْدَارِ
أَسْكَنْتَهُ مِنْ فَاسَ جَنَّةَ مُلْكِهَا مُتَنَعِّمَاً مِنْهَا بِدَارِ قَرَارِ
حَتَّى إِذَا كَفَرَ الصَّنِيْعَةَ وَازْدَرَى بِحُقُوقِهَا أَلْحَقْتَهُ بِالنَّارِ

جَرَّعْتَ نَجْلَ الْكَأْسِ كَأْساً مُرَّةً دَسَّتْ إِلَيْهِ الْحَتْفَ فِي الإِسْكَارِ
كَفَرَ الَّذِي أَوْلَيْتَهُ مِنْ نِعْمَةٍ لاَ تَأْنَسُ النَّعْمَاءُ بِالْكُفَّارِ
فَطَرَحْتَهُ طَرْحَ النَّوَاةِ فَلَمْ يَفُزْ مِنْ عِزِّ مَغْرِبِهِ بِغَيْرِ فِرَارِ [٤١]

تشير الأبيات إلى حدث تاريخي مهم[٤٢]، وهي الفترة التي كان فيها السلطان الغني بالله لاجئاً إلى المغرب بصحبة وزيره لسان الدين بن الخطيب، حيث السلطان أبو سالم المريني[٤٣] الذي قدَّم العون والمساعدة للسلطان المخلوع محمد الخامس الملقب بالغني بالله، وراح لسان الدين بن الخطيب في هذه الفنرة يتجول في مدن المغرب، وأكثر من العقارات والضياع وبخاصة في مدينة فاس[٤٤] والتي لجأ إليها بعد فراره، وقد قضى ابن الخطيب قرابة ثلاث سنوات في ظل السلطان عبد العزيز المريني، فلما قضى نحبه عام "٧٧٤هـ" آواه الوزير المغربي ابن غازي الكاسي حتى عام "٧٧٦هـ" عندما نشبت الثورة التي انتهت باعتلاء السلطان أحمد[٤٥] عرش الدولة المرينية، وكان ذلك باتفاق سابق بين الغني بالله والسلطان المريني، وبناء عليه بادر السلطان المريني بالقبض على ابن الخطيب وأودعه المطبق، ولاذ الوزير المغربي ابن غازي الكاسي بالفرار، وتذكر كتب التاريخ أن ابن الخطيب كان قد حرض السلطان عبد العزيز المريني على غزو غرناطة، فلذلك كان انتقام البلاط الغرناطي منه شديداً، حيث دس إليه وزير السلطان أحمد بن أبي سالم المريني من قتله خنقاً في محبسه، وكانت العدواة بينه وبين ابن الخطيب مستحكمة من قديم الزمان .

وإذا كان ابن زمرك الأندلسي قد وسم أستاذه وشيخه لسان الدين بن الخطيب بالقرد، فإنه في موضع آخر يشبهه بالعبد الآبق، الذي كفر حق النعمة، ويعرض بما حدث لأمير المغرب الموالي لابن الخطيب أبي حمو[٤٦]، والذي امتنع بدوره من تسليم

شيخه ابن الخطيب إلى بلاط مملكة بني الأحمر، فلم يسلم هو الأخر من هجاء ابن زمرك الأندلسي، اسمعه يقول: [الكامل]

هَذَا وَزِيرُ الْغَرْبِ عَبْدٌ آبِقٌ ... لَمْ يُلْفِ غَيْرَكَ فِي الشَّدَائِدِ مِنْ وَزَرْ

كَفَرَ الَّذِي أَوْلَيْتَهُ مِنْ نِعْمَةٍ ... وَاللهُ قَدْ حَتَمَ الْعَذَابَ لِمَنْ كَفَرْ

إِنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْظِهِ ... وَصَلَى سَعِيْرَاً لِلتَأَسُّفِ وَالْفِكَرْ

رَكِبَ الْفِرَارَ مَطِيَّةً يَنْجُو بِهَا ... فَجَرَتْ بِهِ حَتَّى اسْتَقَرَّ عَلَى سَقَرْ

وَكَذَا أَبُو حَمُّو وَكَانَ حِمَامُهُ ... قَدْ حُمَّ وَهْوَ مِنَ الْحَيَاةِ عَلَى غَرَرْ

بَلَّغْتَهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ شَاهِدٍ، ... مَا شَاءَ مِنْ وَطَنٍ يَعِزُّ وَمِنْ وَطَرْ

حَتَّى إِذَا جَحَدَ الَّذِي أَوْلَيْتَهُ ... لَمْ تُبْقِ مِنْهُ الْحَادِثَاتُ وَلَمْ تَذَرْ

فَاصْبِرْ تَنَلْ أَمْثَالَهَا فِي مِثْلِهِ ... إِنَّ الْعَوَاقِبَ فِي الأُمُورِ لِمَنْ صَبَرْ[٤٧]

ولعل الذي دفع شاعرنا إلى نظم هذه الأبيات هو أن السلطان الغرناطي الغني بالله كان ينوي القضاء على أحد الخارجين عليه في مملكة بني الأحمر[٤٨]، فذكره شاعره الأثير بما كان من انتصاره على أعدائه من قبل، فإن كان السلطان الغرناطي قد نال منهم بغيته، فلا ريب أنه سوف يعينه الله على هؤلاء الخارجين عليه، ويؤيد قولنا البيت الأخير من الأبيات المذكورة، وإن كان تاريخ نظم هذه القصيدة عام "٧٨٩هـ"، على الرغم من القضاء على لسان الدين بن الخطيب كان عام "٧٧٦هـ"، ومازال عالقاً في ذهنه ما فعله، وربما يقصد بوزير الغرب ابن غازي الكاسي، فالشيء بالشيء يذكر.

ويرى ابن زمرك الأندلسي في سلطانه الغني بالله، سيف الدين المسلول على الأعداء الطغاة، والمجير لمن يلتمس من جواره العزة والمنعة، فنجده يعرّض بظفر السلطان الغني بالله بابن الخطيب وبمن حماه بالمغرب وهو الوزير المغربي ابن غازي الكاسي بمعاضدة السلطان المريني، فيقول: [البسيط]

مَنْ كَانَ جُنْدُكَ جُنْدَ اللهِ يَنْصُرُهُ		أَنَالَهُ اللهُ مَا يَرْجُو وَأَسْنَاهُ
مَلَّكْتَهُ غَرْبَهُ خُلِّدْتَ مِنْ مَلِكٍ		لِلْغَرْبِ وَالشَّرْقِ مِنْهُ مَا تَمَنَّاهُ
وَسَامَ أَعْدَاءَكَ الأَشْقَيْنَ مَا كَسَبُوا		وَمَنْ تَرَدَّى رِدَاءَ الْغَدْرِ أَرْدَاهُ
قُلْ لِلَّذِي رَمَدَتْ جَهْلاً بَصِيْرَتُهُ		فَلَمْ تَرَ الشَّمْسَ شَمْسَ الْهَدْيِ عَيْنَاهُ
غَطَّى الْهَوَى عَقْلَهُ حَتَّى إِذَا ظَهَرَتْ		لَهُ الْمَرَاشِدُ أَغْشَاهُ وَأَعْمَاهُ
هَلْ عِنْدَهُ وَذُنُوبُ الْغَدْرِ تُوبِقُهُ		أَنَّ الَّذِي قَدْ كَسَاهُ الْعِزَّ أَعْرَاهُ
لَوْ كَانَ يَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ		مَا زِلْتَ مَلْجَأَهُ الْأَحْمَى وَمَنْجَاهُ
سُلَّ السُعُودَ وَخَلِّ الْبِيْضَ مُغْمَدَةً		فَالسَّيْفُ مَهْمَا مَضَى فَالسَّعْدُ أَمْضَاهُ[٤٩]

فهو يذكر موقف السلطان الغرناطي الغني بالله في مساعدة السلطان المريني أحمد بن أبي سالم لاسترداد عرش المغرب، ويصف السلطان المريني بأنه من الموالين للسلطان الغرناطي الغني بالله، ثم يشير إلى موقف لسان الدين بن الخطيب وكيف أنه قد لبس ملابس الغدر، بعد أن عميت عيناه عن سبل الهدى والرشاد، فكان جزاؤه الموت وفقدان المنزلة السامية، الذي كان متمتعاً بها في ظل السلطان الغرناطي الغني بالله، حيث كان له بمثابة الأمن والملاذ، ولكنه لما كفر نعمته التي أسبغها عليه عراه منها، فصار لا يملك من حطام الدنيا شيئا .

وفي عهد السلطان أبي الحجاج يوسف الثاني عزل ابن زمرك الأندلسي عن الوزارة[٥٠]، بل وأودعه السلطان السجن قرابة العشرين شهراً من عام"٧٩٣ – ٧٩٤هـ"، وفي هذه الفترة التي قضاها ابن زمرك سجيناً، نراه يوقفنا على عمق نكبته ومأساته المروعة، وهو ما جعل صورته في شعره الذي قاله مستعطفاً السلطان الغرناطي أشجى وأرق من هديل الحمام، فنجده يعترف بذنبه ويطلب العفو والصفح عما اقترفه من إثم، ثم يذكره بخدمة أبيه السلطان محمد الخامس الملقب بالغني بالله عشرين عاماً في الوزارة، ومن قبلها عشر سنوات قضاها كاتب سر، إلى جانب الفترة التي قضاها مع سلطانه في المغرب، وهي ثلاث سنوات، كل ذلك وهو يقوم على تنفيذ أوامر مليكه

وإصلاح أمور البلاد والعباد، ومقاومة خطر الزحف النصراني المتأهب للقضاء على مملكة بني الأحمر، أفبعد هذا ينكر فعله؟، يقول: [البسيط]

قَابِلْ بِصَفْحِكَ وَاقْبَلْ عُذْرَ مُعْتَرِفٍ ... بِالْذَّنْبِ يَطْلُبُ فَضْلاً مِنْكَ تُولِيهِ

زِيَادَةُ الْفَضْلِ خُلْقٌ مِنْكَ نَعْرِفُهَا ... وَتِلْكَ فِي اسْمِكَ مَعْنَىً مِنْ مَعَانِيهِ

وَاللهِ وَاللهِ مَا فَرَّطْتُ عَنْ سَعَةٍ ... إِلاَّ لِعُذْرٍ خَفِيٍّ لَسْتَ تَدْرِيهِ

هَذَا وَبِي نَدَمٌ جَازَتْ عُقُوبَتُهُ ... حَدَّ الَّذِي كُنْتَ لَوْ عَاقَبْتَ تُبْدِيهِ

أَبَعْدَ عِشْرِينَ حَوْلاً فِي مُكَارَمَةٍ ... أُبْدِي جَفَاءً وَأَقْصَى الْبِرِّ أُخْفِيهِ (٥١)

وإذا لم تكن هذه المقطوعة كفيلة بفك قيوده، وإخراجه من محبسه، فليرسل إليه بأخرى، يذكره فيها بما كان يقدمه من خدمات جليلة لأبيه السلطان محمد الخامس الملقب بالغني بالله طوال الفترة التي قضاها في خدمته، والتي تزيد على الثلاثين عاماً، فإذا كان قد بدر منه ذنباً فليغفره له الملك، اسمعه يقول :[الوافر]

بِمَا قَدْ حُزْتَ مِنْ كَرَمِ الْخِلاَلِ ... بِمَا أَدْرَكْتَ مِنْ رُتَبِ الْجَلاَلِ

بِمَا خُوِّلْتَ مِنْ دِينٍ وَدُنْيَا ... بِمَا قَدْ حُزْتَ مِنْ شَرَفِ الْمَعَالِي

بِمَا أُولِيْتَ مِنْ صُنْعٍ جَمِيْلٍ ... يُطَابِقُ لَفْظُهُ مَعْنَى الْكَمَالِ

تَغَمَّدْنِي بِفَضْلِكَ وَاغْتَفِرْهَا ... ذُنُوباً فِي الْفَعَالِ وَفِي الْمَقَالِ(٥٢)

ويبدو من شعر ابن زمرك الأندلسي أن مملكة بني الأحمر كانت على أهبة الاستعداد لمواجهة أي خطر نصراني يهدد أمنها وسلامة أراضيها، وكان المسلمون الغرناطيون ينظرون إلى السلطان محمد الخامس الملقب بالغني بالله على أنه الملاذ الآمن والمخلص لهم من هذا الخطر، وقد كان هذا السلطان عند حسن ظنهم به، فأعد الجيوش لرمي صعاب الأندلس وتذليلها، ومن ذلك قوله: [الكامل]

كَمْ مِنْ لِوَاءٍ لِلْجِهَادِ عَقَدْتَهُ		فَالفَتْحُ أَشْهَرُ وَاللِّوَاءُ مُشَهَّرُ
وَرَفَعْتَ إِصْرَ ضَرِيبَةٍ مَرَّتْ عَلَى		إِعْطَائِهَا مِنْ قَبْلِ عَصْرِكَ أَعْصُرُ
وَمَآذِنٍ أَخْرَسْتَ مِنْ نَاقُوسِهَا		فَتَشَهَّدَتْ فِيْهَا الْجُيُوشُ وَكَبَّرُوا
وَلَكَمْ جَنَبْتَ الْخَيْلَ تَعْثُرُ فِي الْوَغَى		مِنْ فَوْقِهَا الأُسْدُ الْعَوَابِسُ تَزْأَرُ
مِنْ كُلِّ مَصْقُولِ الْعَزِيمَةِ أَرْوَعٍ		نَارُ الْوَغَى مِنْ بَأْسِهِ تَتَسَعَّرُ
لَمْ يُرْضِهِ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ صَاحِبٌ		إِلاَّ الحُسَامُ وَدِرْعُهُ وَالْمِغْفَرُ
كَمْ لَيْلَةٍ –وَاللهُ يَكْتُبُ أَجْرَهَا–		وَالْكُفْرُ مَحْصُورٌ وَجَيْشُكَ يَحْصُرُ
وَالْمُسْلِمُونَ تَنَامُ مِلْءَ عُيُونِهَا		لَمَّا دَرَتْ أَنَّ الْخَلِيْفَةَ يَسْهَرُ[٥٣]

تشير الأبيات إلى حدث تاريخي مهم[٥٤]، وهو حدوث نزاع وتناحر بين الأميرين القشتاليين بطره وألفونس، فما كان من السلطان الغرناطي الغني بالله إلا أن استغل الموقف، فأعدّ جيشاً كبيراً استطاع من خلاله أن يقتطع الكثير من ثغور وبلاد الأميرين القشتاليين واعتز عليهم، ويشير ابن زمرك إلى امتناع السلطان الغرناطي عن أداء الجزية إلى ملك قشتالة، وكان ذلك في حوادث عام "٧٧٢هـ" .

ومما يحسب لهذا السلطان الغرناطي أيضاً، أنه منع النصارى الأسبان دفع الجزية التي كان يدفعها لهم أسلافه من سلاطين وخلفاء البيت الغرناطي الحاكم، لكن الغني بالله انتهز فرصة خلافات نشبت بين ملوك النصارى فاعتز عليهم ومنع الجزية التي كانوا يتقاضونها من مسلمي غرناطة، بداية من عام "٧٧٢هـ" واستمر على هذه الحالة من الشموخ والعزة سائر أيامه، إلى أن توفاه الله عام "٧٩٣هـ"، يقول ابن زمرك فى تضاعيف مدحه للغنى بالله: [الكامل]

يَـا نَاصِـرَ الإِسْـلاَمِ يَـا مَلِـكَ الْعُـلاَ		اللهُ يُؤْتِيـــكَ الْجَـــزَاءَ جَـــزِيلاَ
جَهِّـــزْ جُيُوشَـــكَ لِلْجِهَـــادِ مُوَفَّقَـــاً		وَكَفَـــى بِرَبِّـــكَ كَافِيَـــاً وَكَفِـــيلاَ

وَلْتُبْعِدِ الْغَارَاتِ فِى أَرْضِ الْعِدَى وَاللهُ حَسْبُكَ نَاصِراً وَوَكِيلاَ
وَإِلَيْكَ مِنْ سُمْرِ الْجِهَادِ غَرِيْبَةً جَاءَتْكَ تُقْرِضُكَ الثَّنَاءَ جَمِيلاَ
وَأَطَلْتُ لَكِنِّي أَطَبْتُ وَعَادَتِي أُلْفَى مُطِيْبَاً فِى الْمَدِيحِ مُطِيلاَ
لاَ زَالَ نَصْرُكَ كُلَّمَا اسْتَنْجَدْتَهُ لِمُهِمِّ دِيْنِكَ عَائِداً مَوْصُولاً[٥٥]

ويبدو أن السلطان الغرناطي محمد الخامس كان يستحق هذا التقدير والثناء والإشادة بجهاده ضد النصارى الأسبان، فإنه بعد موته بقرابة مائة عام سقطت مملكة بني الأحمر في يد النصارى، وقد ذكر ابن زمرك الأندلسي العديد من المعاني في مدح السلطان الغرناطي محمد الخامس، إلا أن أبرز هذه المعاني كانت تدور حول شجاعته في مواجهة الأعداء، وغيرته على الدين الإسلامي الحنيف، وسهره في إعداد الجيوش، وإسناد قيادتها إلى قادة أكفاء على درجة كبيرة من المقدرة العسكرية، إن لم يكن هو القائد بنفسه، اسمعه يقول: [الطويل]

وَكَمْ لَيْلَةٍ طَوْعَ الْجِهَادِ سَهِرْتَهَا وَقَدْ فُقْتَ فِيْهَا الْقَائِمَ المُتَبَتِّلاَ
وَأَنَّسْتَ دِيْنَ اللهِ وَالدَارُ غُرْبَةٌ كَمَا أَنَّسَتْ أَسْلاَفُكَ الدِّيْنَ أَوَّلاَ
وَكَمْ بَلْدَةٍ لِلْكُفْرِ أَنْزَلْتَ أَهْلَهَا وَعَوَّضْتَ بِالنَّاقُوسِ فِيْهَا مُهَلِّلاَ
وَطَوَّقْتَ فِيْهَا السَّيْفَ مَنْ حَانَ حَتْفُهُ وَأَعْدَمْتَ تِمْثَالاً بِهَا وَمُمَثِّلاَ
وَنَفَّلْتَ فِيْهَا الْمُسْلِمِيْنَ مَغَانِمَاً أَبَحْتَ بِهَا كُلَّ امْرِئٍ مَا تَنَفَّلاَ
فَأَثْرَى بِهَا مَنْ لَمْ يَكُنْ قَبْلُ مُثْرِيَاً فَلَسْتَ تَرَى إِلاَّ غَنِيّاً مُمَوَّلاَ
وَصَدَّقْتَ فَالَ الْفَتْحِ فِي عَرَصَاتِهَا فَفَتَّحْتَ بَاباً كَانَ لِلْجُودِ مُقْفَلاَ
بِمَوْقِفِ بَأْسٍ أَخْرَسَ الْغُلْبَ هَوْلُهُ فَكَانَ لِسَانُ السَّيْفِ أَفْصَحَ مِقْوَلاَ[٥٦]

ويبدو أن جيش السلطان محمد الخامس لم يكن باستطاعته وحده مواجهة هذا الخطر النصراني المتزايد على حدود المملكة، فدعاه شاعره الأثير إلى أن يطلب مدداً من

سلطان العدوة المغربية أبي فارس المريني، فأرسل إليه المساعدات بقيادة الوزير المغربي مسعود بن رحو[٥٧] الذي اقتحم الثغور الأندلسية، وكان القشتاليون قد أعدوا العدة لمواجهته، حيث نشبت بين الفريقين معركة قوية هزم فيها القشتاليون، واستطاع السلطان الغني بالله أن يغزو إشبيلية وهي يومئذ عاصمة قشتالة، وأن يفتح أحد حصونها، وكان ذلك في عام "٧٦٨هـ"[٥٨]، وفي ذلك يقول ابن زمرك الأندلسي : [الطويل]

وَكَانَتْ مَرِيْنٌ وَاعَدَتْهُ وَفَاءَهَا فَوَفَّوْا جَمِيْعَاً بِالَّذِي كَانَ يَطْلُبُ
وَقَدْ كُنْتَ مَوْلاَهَا وَغَايَةَ قَصْدِهَا فَأُنْجِحَ مَقْصُودٌ وَبُلِّغَ مَأْرَبُ
فَيَسَّرْتَ لِلْيُسْرَى وَيُسِّرَ فَتْحُهَا كَلَمْحَةِ لَمْعِ الْبَرْقِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ
وَجَدَّدْتَ مِنْ فَاسِ الْجَدِيدِ مَعَاهِدَاً أَلَحَّ عَلَيْهَا مَنْ نَوَالِكَ صَيِّبُ
وَجَاءَتْ جُيُوشٌ مِنْ مَرِيْنٍ أَعِزَّةٌ إِذَا مَرَّ مِنْهَا مَوْكِبٌ حَفَّ مَوْكِبُ
وَحَوْلَكَ مِنْ مَثْنَى الْوَزَارَةِ عُوذَةٌ وَفَالٌ لآمَالِ الْعُدَاةِ مُكَذِّبُ
زَجَرْتَ بِمَسْعُودِ بْنِ رَحُّوٍ سَعَادَةً وَرَاحَةَ نَفْسٍ بَعْدَهَا لَيْسَ يُتْعَبُ
تَقَدَّمَ مَيْمُونَ النَّقِيْبَةِ خَالِصَا يُطَابِقُ مِنْهُ فِي الْحُضُورِ الْمُغَيَّبُ[٥٩]

وفي نهاية عام "٧٦٩هـ" جرت معركة قوية بين الغرناطيين والقشتاليين بمساعدة السلطان أبي فارس المريني، حيث "سار الغني بالله في قوة كبيرة إلى مدينة جيان[٦٠]، وحاصرها بشدة، واقتحمها بعد معارك شديدة، واستولى المسلمون على سائر ما فيها من الأموال والسلاح والنعم، وأسروا جموعاً كثيرة، ولكنهم لم يحتلوها، لصعوبة الدفاع عنها، وتعذر الاحتفاظ بها، وهي واقعة في قلب العدو"[٦١]، يقول ابن زمرك: [الكامل]

حَتَّى تَرَى أَعْلاَمُنَا مَنْشُورَةً وَالنَّصْرُ يَقْدُمُهَا بِجَيْشٍ مُرْعِبِ
وَالْفَتْحُ يَمْرَحُ وَادِعَاً مُتَمَهِّلاً فِي ظِلِّهَا مَرَحَ الْجَوَادِ الْمُقْرَبِ
كَيْمَا يَعُودُ الْفَتْحُ أَوَّلَ بَدْأَةٍ عَوْدَاً عَلَى رَغْمِ الْعَدُوِّ الأَخْيَبِ
وَنُجِيْدُ فَتْحَ مَقَاصِرٍ لِقَيَاصِرٍ مِنْ كُلِّ مَضْفُورِ السَّبَالَةِ أَصْهَبِ
وَيَسُوقُ مِنْهَا السَّبْيُ كُلَّ خَرِيدَةٍ تَسْبِي مَحَاسِنُهَا فُؤَادَ الْمُسْتَبِي
مِنْ كُلِّ مَائِسَةِ الْقَوَامِ غَرِيرَةٍ يَعْطُو الْغَزَالُ بِجِيْدِهَا فِي الرَّبْرَبِ
وَنَرُدُّ مَغْصُوبَ الْمَعَاقِلِ لِلْهُدَى حَتَّى تُرَدَّ عَقَائِلاً لَمْ تُغْصَبِ
وَنُجِيْلُ خَيْلَ اللهِ فِي قَشْتَالَةٍ حَتَّى يَجُوزَ الدَّرْبُ مَنْ لَمْ يَدْرَبِ[٦٢]

ولما شعر السلطان الغرناطي الغني بالله بوطأة القشتاليين على أراضيه وقلة وسائله في الدفاع، أرسل يستنجد بالسلطان أبي العباس المريني، فأجابه على الفور ملبياً نداءه، وأرسل إليه المساعدات والإمدادات الكافية، وفي ذلك يقول شاعرنا: [الطويل]

وَإِنَّ أَبَا العَبَّاسِ خُلِّدَ مُلْكُهُ وَوَالَى لَهُ اللهُ السُمُوَّ وَالاعْتِلاَ
يُمِدُّكَ – مَدَّ اللهُ بِالطُولِ عُمْرَهُ – وَيَشْكُرُ مِنْكَ الْوَالِدَ المُتَفَضِّلاَ
فَبَيْنَكُمَا –واللهُ يَشْهَدُ– وُصْلَةٌ بِهَا الدِّيْنُ لِلنَّصْرِ الْعَزِيْزِ تَوَصَّلاَ
أَبٌ وَابْنُهُ وَالْفَخْرُ يُسْنِدُ عَنْهُمَا أَحَادِيثَ يَرْوِيهَا عَطَاءٌ عَنِ العَلاَ
أَوَاصِرُ مُلْكٍ قَدْ تَعَاطَفَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضِهَا فِي ذِمَّةِ الْمَجْدِ وَالْعُلاَ[٦٣]

ويبدو أن هذا العون والإمداد كان في مرحلة متأخرة من تاريخ حكم السلطان الغني بالله، ولعله كان بعد عام "٧٨٠هـ"، وكان الغني بالله قد ساعد السلطان المريني على التمكن من السلطة في المغرب عام "٧٧٥هـ" على أن يمكنه من لسان الدين بن الخطيب ليقتله، وقد كان، فبعد أن استقام الأمر للسلطان المريني أرسل السلطان محمد الخامس الملقب بالغني بالله وفداً رفيع المستوى إلى عدوة المغرب برئاسة وزيره الجديد ابن زمرك الأندلسي طالباً الإمداد والعون لمواجهة أعدائه من النصارى الأسبان، وذكره

الوزير ابن زمرك الأندلسي بما كان بينه وبين السلطان المريني من المصالح المشتركة، وأنه قد سبق له إمداده بالسفن الحربية المناسبة من أجل استعادة عرشه السليب، فما كان من السلطان أبي العباس أحمد المريني أن يقابل الجميل بمثله، وذلك لأن العلاقة بينهما كانت على ما يرام(٦٤) .

ولم يغفل ابن زمرك الأندلسي ذكر الأفراح والبشائر التي تعم أرجاء المملكة عقب كل انتصار يتحقق على أيدي سلاطينهم من بني الأحمر، حيث افتتح بها قصائده التي وجهها إلى ملكه مهنئاً مباركاً بذلك الظفر، وكان تعبيره عن هذا الجانب يظهر بصورة واضحة تكشف عن فرحة الشعب الغرناطي بهذا الانتصار، ولم يكتف بالتعبير عن ذلك الشعور بتعابير عامة وصور سطحية، بل تغلغل داخل أعماق الشعب الغرناطي المجاهد الذي ناضل وكافح من أجل ذلك الظفر، ومن قبيل ذلك قوله مهنئاً السلطان الغرناطي الغني بالله بموت طاغية النصارى بطره القاسي في حوداث عام "٧٧٠هـ"(٦٥):[الطويل]

هَنِيْئَاً فَأَهْلُ الْكُفْرِ مَاتَ عَمِيْدُهُمْ وَأَصْبَحَتِ الأَغْلاَلُ فِي النَّارِ طَوْقَهُ

وَكُلُّ امْرِئ نَاوَا مَقَامَكَ عَامِدَاً فَإِنَّ حُسَامَ السَّعْدِ يَضْرِبُ عُنْقَهُ

فَشُكْرَاً لِمَنْ أَعْطَاكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَمَا مِنْ يَدٍ إِلاَّ يَدُ اللهِ فَوْقَهُ

وَدُمْتَ إِلَى الإِسْلاَمِ أَكْرَمَ نَاصِرٍ وَكُلُّ مُلُوكِ الْأَرْضِ تُوجِبُ حَقَّهُ (٦٦)

ومثل ذلك التصوير الذي استخدم فيه ابن زمرك الأندلسي التراكيب الفنية معتمداً على خياله وقدرته الشعرية قوله يهنئ السلطان الغني بالله بعد أن تولى السلطان أبو العباس المريني عرش فاس عام "٧٧٦هـ"(٦٧)، فنجده يشيد ببشرى النصر التي طافت أرجاء العدوة المغربية ويتحدث عن أثرها مستخدماً الوصف والتصوير الفني، وهو تقصي الموصوف والوقوف على خصائصه عن طريق الصور الفنية التي يعتمد عليها لتوضيح غرضه وأفكاره بدقة، ويلاحظ أن شاعرنا اعتمد على الألفاظ والعبارات التي تبعث السرور

والارتياح في النفس، مستمداً مادتها من أصداء الطبيعة الهادئة، فوفق بذلك بين أسلوبه والموضوع الذي يهدف إليه، كما ترجم عن شعوره وإحساسه بفرحة النصر وتحقيق الفتح على يد السلطان أبي العباس المريني، اسمعه يقول : [الكامل]

هِيَ نَفْحَةٌ هَبَّتْ مِنَ الأَنْصَارِ أَهْدَتْكَ فَتْحَ مَمَالِكِ الْأَمْصَارِ
فِي بِشْرِهَا وَبِشَارَةِ الدُّنْيَا بِهَا مُسْتَمْتَعُ الْأَسْمَاعِ وَالأَبْصَارِ
هَبَّتْ عَلَى قُطْرِ الْجِهَادِ فَرَوَّضَتْ أَرْجَاءَهُ بِالنَّفْحَةِ الْمِعْطَارِ
وَسَرَتْ وَأَمْرُ اللهِ طَيَّ بُرُودِهَا يُهْدِي الْبَرِيَّةَ لُطْفَ صُنْعِ الْبَارِي
مَرَّتْ بِأَرْوَاحِ الْمَنَابِرِ فَانْبَرَتْ خُطَبَاؤُهَا مُفْتَنَّةُ الأَطْيَارِ
حَنَّتْ مَعَارِجُهَا إِلَى أَعْشَارِهَا لَمَّا سَمِعْنَ بِهَا حَنِيْنَ عِشَارِ
لَوْ أَنْصَفَتْكَ لَكَلَّلَتْ أَدْوَاحَهَا تِلْكَ الْبَشَائِرُ يَانِعَ الْأَزْهَارِ
فَتْحُ الْفُتُوحِ أَتَاكَ فِي حُلَلِ الرِّضَا بِعَجَائِبِ الْأَزْمَانِ وْالْأَعْصَارِ(٦٨)

كان للظروف السياسية التي مرت بها مملكة بني الأحمر واصطدامها المستمر بأسبانيا النصرانية من ناحية البحر والبر دور كبير في تهيئة شعب المملكة، وتدريبه على خوض المعارك والمشاركة فيها ومواجهة الأعداء، وكان لسلاطين بني الأحمر نصيب وافر في ذلك حيث جرت العادة عندهم في تفقد الثغور الأندلسية لرفع الروح المعنوية لدى المقاتلين، فابن زمرك الأندلسي يخاطب السلطان الغرناطي أبا الحجاج يوسف الثاني وقد أعمل الركاب لتفقد البلاد الشرقية ونزوله لأول يوم من الرحلة قتل طاغية من النصارى المفسدين في البحر كان قد قاتل بعض المراكب بمدينة مالقة، وكان ذلك في عام "٧٩٧هـ"(٦٩):[الكامل]

فَتْحُ الْفُتُوحِ أَتَى بِأَوَّلِ مَنْزِلِ		فَالسَّعْدُ مُتَصِّلٌ كَأَجْمَلِ عَادَتِكْ
مَا حَلَّ رِجْلُكَ فِي الرِّكابِ مُسَافِراً		حَتَّى أَتَتْ بُشْرَى بِيَوْمِ سَعَادَتِكْ [٧٠]

ومن خلال قصيدة يمدح فيها ابن زمرك الأندلسي السلطان الغرناطي أبا الحجاج يوسف الثاني ويذكر نزوله لمدينة بسطة[٧١] أواخر عام "٧٩٧هـ" بغية تفقد الثغور الشمالية الشرقية لمدينة غرناطة، قال يصف ذلك النزول وأثره في النفوس، اسمعه يقول : [المجتث]

كَمْ لِلنُّفُوسِ بِبَسْطَهْ		مِنِ ابْتِهَاجٍ وَبَسْطَهْ
مَوْلاَيَ نَصْرُكَ حَتْمٌ		وَاللهُ فِي اللَّوْحِ خَطَّهْ
مَنْ ذَا يَحُلُّ قَضَاءً		قَدْ أَحْكَمَ اللهُ رَبْطَهْ
يُمْنَاكَ بَحْرُ سَمَاحٍ		وَالْخَلْقُ تَنْتَابُ شَطَّهْ
وَسِعْتَ دَهْرَكَ حِلْماً		وَالْحِلْمُ أَوْسَعُ خُطَّهْ
فَاشْرُطْ عَلَى الدَّهْرِ فَتْحاً		وَالسَّعْدُ يَضْمُنْ شَرْطَهْ
وَرَأْسُ كُلِّ عَدُوٍّ		يَقُولُ لِلسَّيْفِ: حِطَّهْ
أَخْمِدْ بِهِ مِنْ ذُبَالٍ		مِقَصُّ سَيْفِكَ قَطَّهْ [٧٢]

كانت سياسة سلاطين وخلفاء بني الأحمر تجاه الممالك النصرانية الأسبانية تتراوح بين المجاهدة والمهادنة والحرب والسلم، وفي ديوان ابن زمرك الأندلسي أخبار وأشعار في هذا الموضوع، ومنها الإشارة إلى عقد هدنة فرضها السلطان الغرناطي الغني بالله على أعدائه[٧٣]، يقول ابن زمرك : [الكامل]

سَوَّغْتَهُمْ يَا بَرُّ أَنْ يَرِدُوا بِهَا		بَحْراً بِأَمْوَاجِ الْمَوَاهِبِ يَزْخَرُ
شَمَلَتْهُمُ مِنْكَ الْمَبَرَّةُ وَالْغِنَا		فَالْجَاهُ أَوْسَعُ وَالْحِبَاءُ مُوَفَّرُ

فِـــي هُدْنَـــةٍ لَبِسْـــتَ مُـــلاَءةَ عِـــزَّةٍ فَـالْخَلْقُ فِيْهَـا فِـي الْمُنَـى تَتَخَيَّـرُ
فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ مَـنْ زَمَانِـكَ مَوْسِـمٌ يَرْضَـــى الإِلاَهُ بِـــهِ وَعِيْـــدٌ أَكْبَـــرُ
فَبَقِيْـــتَ مَـــا بَقِـــيَ الزَّمَـــانُ مُخَلَّـــدَاً فِـي دَوْلَـةٍ تَنْهَـى الزَّمَـانَ وَتَـأْمُرُ (٧٤)

وفي ديوان ابن زمرك الأندلسي إشارة إلى توافده على رأس سفارة إلى ملوك العدوة وملوك النصارى الأسبان، ويذكر صاحب أزهار الرياض ذلك فيقول :"وفوض له "أي الغني بالله" في عقد الصلح بين الملوك بالعدوتين، وصلح النصارى عقده تسع مرات"(٧٥)، ومنه قوله:[الطويل]

عَقَـــدْتُ مَـــعَ الأَيَّـــامِ صُـــلْحَاً بِزَوْرِهَـــا وَلِلْخَيْـرِ كُـلُّ الْخَيْـرِ فِـي ذَلِـكَ الصُّـلْحِ
وَفِـــي جَبَـــلِ الْفَـــتْحِ اسْـــتَقَلَّتْ قَلاَئِـــدَاً وَلاَ غَـــرْوَ أَنْ تُعْـــزَى الْقَلاَئِـــدُ لِلْفَـــتْحِ
أَبَـــا قَاسِـــمٍ هَنَّـــأْتَنِي بِسِـــفَارَةٍ قَضَتْ لِي بِعَوْدٍ فِي حُلَى الْيُمْنِ وَالنُّجْحِ
وَمَا الرَّوْضُ مَطْلُولُ الْأَزَاهِرِ فِي الضُّحَى بِأَنْدَى وَأَذْكَى مِنْ خَلاَئِقِكَ السُّمْحِ (٧٦)

جمعت مملكة بني الأحمر إلى جانب الطبيعة الساحرة جمال العمران وروعته، وما تركه لنا خلفاء وسلاطين بني الأحمر من آثار تكاد تنطق بعظمة الفن الإسلامي وروعة البنيان العربي في هذا العهد. كما عكس لنا التطور الحضاري الذي وصلت إليه مملكة بني الأحمر آنذاك، ومن تلك الآثار قصر الحمراء (٧٧)، الذي شرع ببنائه ابن الأحمر مؤسس الدولة وتابع خلفاؤه من بعده العمل فيه إلى أن اكتمل على يد أبي الحجاج يوسف الأول وابنه محمد الخامس على أبهى زخرفة وتزيين وأجمل وجه، حتى غدا تحفة فنية رائعة، وهو يمثل اليوم قمة ما وصل إليه الفن العربي في أسبانيا، يقول ابن زمرك: [الطويل]

أَلاَ عِـمْ صَـبَاحَاً جَـاءَ بِـالْفَتْحِ وَالنَّصْـرِ فَـذَا أَوْرَثَ الْأَنْصَـارَ فَخْـرَ بَنِـي نَصْـرِ
أَحَقّـــاً نُجُـــومُ السَّـــعْدِ عَـــادَتْ مُنِيْـــرَةً لِتَطْلُـعَ بِـالْحَمْرَاءِ فِـي مَرْقَـبِ الْقَصْـرِ

وَيَتْبَعُهَـــا مَـــوْلاَيَ بَـــدْراً مُكَمَّـــلاً		فَلِلَّهِ مِـــنْ شُـــهْبٍ وَللهِ مِـــنْ بَـــدْرِ
فَـــلاَ زَالَ فِـــي حِفْـــظِ الإِلاهِ وَلُطْفِـــهِ		بِحَـقِّ نَبِـي خُـصَّ بِالنَّصْـرِ فِـي بَـدْرِ
وَدَامَ قَرِيْـرَ الْعَـيْنِ فِـي ظِـلِّ غِبْطَـةٍ		وَأُيِّـدَ بِالتَّخْصِـيْصِ مِـنْ عَـالَمِ الْأَمْـرِ
وَلاَ زَالَ سِـــتْرُ اللهِ فَوْقَـــكَ ضَـــافِيَاً		تُؤَيِّـدُ فِـي بَـرٍّ وَتُنْصَـرُ فِـي بَحْـرِ
عَلَيْـــكَ سَـــلاَمُ اللهِ مَـــا ذَرَّ شَـــارِقٌ		وَمَا لاَحَتْ الْأَنْوَارُ مِنْ مَطْلَعِ الْفَجْرِ[٧٨]

ويلح ابن زمرك الأندلسي على تأكيد حقيقة مفادها أن ممدوحه نسيب حسيب، تمتد جذوره إلى الأنصار[٧٩]، الذين صحبوا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في غزواته التي كان لها الدور الأكبر في تثبيت دعائم هذا الدين الحنيف، فكانوا جديرين بالفوز بدعوته لهم ولذريتهم، ويخص ابن زمرك من الأنصار سيدنا سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه الذي قدم نفسه فداء وتضحية من أجل خدمة الدعوة الإسلامية، ويشيد بدور أجداده مع النبي الكريم، ويشير إلى ثناء القرآن الكريم على هؤلاء الأنصار، اسمعه يقول : [الكامل]

هِمَمُ الإِمَامِ مُحَمَّدٍ قَدْ شَادَهَا		شَرَفٌ عَلَى رَغْمِ الزَّمَانِ أَصِيلُ
وَإِذَا نَظَرْتَ لِخَلْقِهِ وَلِخُلْقِهِ		فَالْبَدْرُ تِمٌّ وَالرِّيَاضُ بَلِيلُ
أَنَّى يُضَاهِيهِ وَيُشْبِهُ فَخْرَهُ		فَخْرٌ وَأَنْصَارُ النَّبِيِّ قَبِيلُ؟
الْقَوْمُ أَهْلُ اللهِ حِزْبُ رَسُولِهِ		فِي وَصْفِهِمْ قَدْ أُحْكِمَ التَّنْزِيلُ
مَاذَا يُحَبِّرُ شَاعِرٌ فِي مَدْحِهِمْ		وَمَدِيحُهُمْ قَدْ نَصَّهُ جِبْرِيلُ
وَصِفَاتُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ		جَاءَتْ بِهَا التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ[٨٠]

وقد مدح ابن زمرك الأندلسي كذلك ابن خلدون في حوادث عام "٧٨٩هـ"[٨١]، عندما ترك هذا الأخير مسقط رأسه متجهاً إلى القاهرة، وجاءت مدحته طويلة على نهج الشعر العربي القديم، استهلها شاعرنا بالغزل الرقيق، ثم أحسن التخلص بالحديث عن

الشباب الذي ولّى والعمر الطويل الذي مضى، ونجده يلفت صاحبه إلى أمور أكثر أهمية وقيمة في هذه الحياة، مثل الإخلاص للخلان والأحبة، والوفاء، فيقول: [الطويل]

تَجَاوَزْتُ حَدَّ الْعَاشِقِيْنَ الأُلَى قَضَوْا ... وَأَقْفَرَ رَبْعُ الْقَلْبِ إِلاَّ مِنَ الْوَجْدِ

إِلَيْكَ أَبَا زَيْدٍ شَكَاةٌ رَفَعْتُهَا ... وَمَا أَنْتَ مِنْ عَمْرٍو لَدَيَّ وَلاَ زَيْدِ

بِعَيْشِكَ خَبِّرْنِي وَمَا زِلْتَ مُفْضِلاً ... أَعِنْدَكَ مِنْ شَوْقٍ كَمِثْلِ الَّذِي عِنْدِي؟

فَكَمْ ثَارَ بِي شَوْقٌ إِلَيْكَ مُبَرِّحٌ ... فَظَلَّتْ يَدُ الْأَشْوَاقِ تُقْدَحُ مِنْ زَنْدِي

مُحَيَّاكَ أَجْلَى فِي الْعُيُونِ مِنَ الضُّحَى ... وَذِكْرُكَ أَحْلَى فِي الشِّفَاةِ مِنَ الشَّهْدِ

وَمَا أَنْتَ إِلاَّ الشَّمْسُ فِي عُلْوِ أُفْقِهَا ... تُفِيْدُكَ مِنْ قُرْبٍ وَتُلْحَظُ مِنْ بُعْدِ

لَقَدْ سَرَّنِي أَنْ لُحْتَ فِي أُفُقِ الْعُلَى ... عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالطَّالِعِ السَّعْدِ

طَلَعْتَ بِأُفْقِ الشَّرْقِ نَجْمَ هِدَايَةٍ ... فَجِئْتَ مَعَ الْأَنْوَارِ فِيْهِ عَلَى وَعْدِ[٨٢]

نظم ابن زمرك الأندلسي عدة مراث في سلاطين وخلفاء بني الأحمر[٨٣]، ويهمنا منها ما قيل في السلطان الغرناطي الغني بالله، فقد حصر فيها جهاده ومآثره، ووصف فيها إحساسه بعظم الرزء وشدة الفقد والمصاب، ولوعته بفقد من آواه وحماه من أعدائه، وأذاقه حلاوة السلطان بعد قلة، ثم مات وترك شاعرنا يتجرع حسرته القاسية ويتجرع خوفه خشية ما تجري به المقادير، وقد صدق ظنه، إذ سرعان ما عزله السلطان الجديد أبو الحجاج يوسف الثاني، وزج به في السجن بقصبة المرية[٨٤]، لما شاع عنه من التغطرس والكبر والتطاول[٨٥]، وقد يكون إرضاء لأعدائه، وتتفجر هذه اللوعة الملتعه في مرثيته التي استهلها بقوله : [الطويل]

ضَـــرِيْحَ أَمِيْـــرِ الْمُسْـــلِمِيْنَ مُحَمَّـــدِ		يَخُصُّـــكَ رَبِّـــي بِالسَّـــلاَمِ المُـــرَدَّدِ
أَقَـــامَ بِـــكَ الْمَـــوْلَى الإِمَـــامُ مُحَمَّـــدٌ		مُؤَمِّـــلَ فَـــوْزٍ بِالشَّـــفِيْعِ مُحَمَّـــدِ
وَمَـدَّ ظِـلاَلَ الْعَـدْلِ فِـي كُـلِّ وِجْهَـةٍ		وَكَـفَّ أَكُـفَّ الْبَغْـيِ مِـنْ كُـلِّ مُعْتَـدِي
وَقَـامَ بِمَفْـرُوضِ الْجِهَـادِ عَـنِ الْـوَرَى		وَعَـــوَّدَ دِيْـــنَ اللهِ خَيْـــرَ مُعَـــوَّدِ
وَفَـــتَّحَ بِالسَّـــيْفِ الْمَمَالِـــكَ عَنْـــوَةً		وَمَـدَّتْ لَـهُ أَمْلاَكُهَـا كَـفَّ مُجْتَـدِي
وَكَسَّـــرَ تِمْثَـــالَ الصَّـــلِيْبِ وَأُخْرِسَـــتْ		نَـــوَاقِيْسُ كَانَـــتْ لِلضَّـــلاَلِ بِمَرْصَـــدِ
وَطَهَّـــرَ مِحْرَابَـــاً وَجَـــدَّدَ مِنْبَـــرَاً		وَأَعْلَـنَ ذِكْـرَ اللهِ فِـي كُـلِّ مَسْـجِدِ
وَدَانَتْ لَهُ الْأَمْلاَكُ شَرْقَاً وَمَغْرِبَاً		وَكُلُّهُمُ أَلْقَى لَهُ الْمُلْكَ بِالْيَدِ(٨٦)

شعر ابن زمرك الأندلسي وثيقة تاريخية فنية:

١ – اللغة الشعرية:

يلجأ ابن زمرك الأندلسي إلى استخدام المعجم اللغوي في شعره الوثائقي، إرضاء لسلاطين وخلفاء بني الأحمر وإثباتاً لأورمتهم التي تضرب في التاريخ الإسلامي بسهم وافر، والتي تعدّ أساساً لتوليهم الحكم، أو رغبة منه في امتلاكه لناصية القول واستعراض ثقافته اللغوية المتنوعة في هذا المجال، مما يوجب فتح القاموس أو المعجم لمعرفة بعض كلمات أشعاره وألفاظ قصائده التي تصعب على الفهم المباشر، فمن ذلك قوله في معرض وصفه معارك السلطان الغني بالله ضد النصارى الإسبان : [الطويل]

عَقَدْتَ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ عَزِيمَةً		تَلَا حِزْبُكَ الْأَنْفَالَ مِنْهَا مُجَوِّدَا
وَأَجْرَيْتَ فِي سُحْبِ الْقَتَامِ بَوَارِقَاً		تَرَى الْبَرْقَ فِي آثَارِهَا مُتَرَدِّدَا
تَخُطُّ عَلَى الصُّمِّ الصِّلاَبِ مَحَارِبَاً		أَقَامَتْ بِهَا صَرْعَى حُسَامِكَ مَسْجِدَا
أَرَيتَهُمُ نَارَ الظُّبَا فَتَمَجَّسُوا		وَخَرُّوا لَهَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ سُجَّدَا
وَكَمْ ذَابِلٍ يَهْتَزُّ فِي كَفِّ دَارِعٍ		فَقُلْتُ قَضِيبٌ فِي غَدِيرٍ تَأَوَّدَا

وَكَمْ دَارِعٍ يَأْوِي إِلَى ظِلِّ رَايَةٍ فَقُلْتُ غَدِيرٌ تَحْتَ دَوْحٍ تَسَرَّدَا
وَكَمْ رَايَةٍ حَامَتْ عَلَى فَتْحِ مَعْقَلٍ فَقُلْتُ عُقَابٌ حَوْلَ وَكْرٍ تَلَدَّدَا
وَنَجْمِ سِنَانٍ فِي دُجَا النَّقْعِ ثَاقِبٍ إِذَا مَا خَبَا نَجْمُ السَّمَاءِ تَوَقَّدَا(٨٧)

فألفاظ مثل: حزبك الأنفال- سحب القتام- الصم الصلاب- نار الظبا- تسردا- معقل- تلددا- نجم سنان، تدل على دقة الشاعر في الاختيار والانتقاء بحيث جاءت معظمها معجمية ملائمة للمعنى الذي أراده الشاعر ألا وهو وصف المعارك الحربية التي تتسم بالعنف والشدة والقوة .

وعلى الجانب الأخر نلمس الرقة والسهولة التي تميزت بها ألفاظه واتسمت بها عباراته الشعرية، وقد وقف النقاد العرب القدامى عند الألفاظ الرقيقة، واعتبروها مما يتميز بها الشعر الجيد، يقول أبو هلال العسكري : "وقد غلب الجهد على قوم فصاروا يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه إلا بكد، ويستفصحونه إذا وجدوا ألفاظه كزة غليظة، وجاسية غريبة، ويستحقرون الكلام إذا رأوه سلساً عذباً حلواً، ولم يعلموا أن السهل أمنع جانباً، وأعز مطلباً، وهو أحسن موقعاً وأعذب مستمعاً"(٨٨)، ومنه قوله : [المجتث]

كَمْ لِلنُّفُوسِ بِبَسْطَهْ مِنِ ابْتِهَاجٍ وَبَسْطَهْ
مَوْلاَيَ نَصْرُكَ حَتْمٌ وَاللهُ فِي اللَّوْحِ خَطَّهْ
مَنْ ذَا يَحُلُّ قَضَاءً قَدْ أَحْكَمَ اللهُ رَبْطَهْ
يُمْنَاكَ بَحْرُ سَمَاحٍ وَالْخَلْقُ تَنْتَابُ شَطَّهْ
وَسِعْتَ دَهْرَكَ حِلْمَاً وَالْحِلْمُ أَوْسَعُ خُطَّهْ
فَاشْرُطْ عَلَى الدَّهْرِ فَتْحَاً وَالسَّعْدُ يَضْمُنْ شَرْطَهْ
وَرَأْسُ كُلِّ عَدُوٍّ يَقُولُ لِلسَّيْفِ: حِطَّهْ

أَخْمِدْ بِهِ مِنْ ذُبَالٍ		مِقَصُّ سَيْفِكَ قَطَّهْ[٨٩]

ومن الألفاظ النصرانية التي تردد صداها في شعر ابن زمرك الأندلسي "الصليب" و"نواقيس" و"الدير" و"القس" و"الزنار"، وهي ألفاظ استعملها شعراء العهد الغرناطي بكثرة في أشعارهم، ومما ساعد على ذيوعها وشيوعها في شعر شاعرنا، ذلك الصراع الديني المستحكم الذي كان دائراً بين المسلمين وملوك النصارى الإسبان في مملكة غرناطة النصرية، يقول ابن زمرك الأندلسي راثياً السلطان الغني بالله محمد الخامس: [الطويل]

وَكَسَّرَ تِمْثَالَ الصَّلِيْبِ وَأُخْرِسَتْ		نَوَاقِيْسُ كَانَتْ لِلضَّلاَلِ بِمَرْصَدِ[٩٠]

ويلجأ ابن زمرك الأندلسي إلى التراث العربي القديم الذي كان معيناً ومساعداً له في كل الحالات، فالتراث"هو الينبوع الدائم التفجر بأصل القيم وأنصعها وأبقاها، والأرض الصلبة التي يقف عليها ليبني فوقها حاضره الشعري الجديد على أرسخ القواعد وأوطدها، والحصن المنيع الذي يلجأ إليه كلما عصفت به العواصف فيمنحه الأمن والسكينة"[٩١].

وتوظيف النص القرآني وغيره من نصوص تراثية في شعر ابن زمرك الأندلسي لا يعد عيباً يوصم به شاعرنا، فأكثر "المبدعين أصالة من كان تركيبه الفني ذا طبيعة تراكمية، على معنى أن الروافد السابقة قد وجدت فيه مصباً صالحاً لاستقبالها. ومن الحقائق التي يجب أن نعترف بها أنه لا وجود لمبدع يخلص لنفسه، وإنما هو مكون – في جانبه الأكبر – من خارج ذاته بوعي أو بغير وعي"[٩٢].

وقد تجسد تأثير النص القرآني لدى ابن زمرك الأندلسي في اقتباس آية أو جزء من آية، وتضمينها دون تغيير أو تبديل أو تعديل، يقول شاعرنا: [الكامل]

"إِنَّا فَتَحْنَا" أُنْزِلَتْ فِي وَصْفِهِ		وَكَفَى بِهَا ذِكْرَى لِمَنْ يَتَذَكَّرُ[٩٣]

فقد اقتبس جزءاً من قوله تعالى: "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحَاً مُبِيناً"(٩٤) .

ومن ذلك قوله في معرض مدحه لابن الخطيب، حيث جعل محبته في قلوب البشر من أهل العهد الغرناطي كفرض الصلوات الخمس: [الكامل]

كَتَبَ الإِلَاهُ عَلَى الْعِبَادِ مَحَبَّةً لَكَ كَانَ فَرْضُ كِتَابِهَا مَوْقُوتَا(٩٥)

فقد اقتبس جزءاً من قوله تعالى:" إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا"(٩٦).

وثمة محور أخر يتمثل في الاتكاء على القرآن الكريم في شعر ابن زمرك الأندلسي، من خلال إشارة لغوية تحيل القارئ إلى آية بذاتها أو مجموعة آيات تختص بها دون غيرها، وتجعلها ماثلة في العقل بمجرد قراءتها. ومن قبيل ذلك قوله في قصيدته التي مدح بها السلطان الغني بالله محمد الخامس: [الكامل]

وَمُسَافِرٍ فِي الْجَوِّ تَحْسِبُ أَنَّهُ يَرْقَى إِلَى أَوْجِ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

رَامَ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ وَهْوَ مُمَنَّعُ فَأُصِيْبَ مِنْ قُضُبِ الْعِصِيّ بِأَسْهُمِ

رَجَمَتْهُ مِنْ شُهْبِ النِّصَالِ حَوَاصِبٌ لَوْلاَ تَعَرُّضُهُ لَهَا لَمْ يُرْجَمِ(٩٧)

يرد لقوله تعالى : "وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ"(٩٨). وقوله تعالى : "وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا* وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآَنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا" (٩٩).

ويعتبر الحديث النبوي الشريف من الروافد التراثية التي لجأ إليها ابن زمرك الأندلسي في صياغة شعره، فأقواله– صلى الله عليه وسلم– "ممثلة للبلاغة الإنسانية في قمة بيانها، ليست وليدة الصنعة والمعاناة، وإن بدت في إتقانها وعلو طبقتها كأنها مصنوعة، ولم يتكلف لها، وهي على سهولتها ممنوعة، بعيدة المنال"(١٠٠) .

ويحدثنا ابن زمرك الأندلسي عن "التسلسل العنعني" فأسند حديث الزهر مسلسلاً حتى وصل إلى النسيم الذي حمل هذا الحديث العطر ونثره، فإذا به صحيح يوافق الواقع الصريح، ولا يحتاج إلى تعديل أو تجريح[١٠١]، فيقول: [الكامل]

وَرَوَى عَنِ الضَّحَاكِ عَنْ زَهْرِ الرُّبَى مَا أَسْنَدَ الزُّهْرِيُّ عَنْهُ عَنْ مَطَرْ

وَتَحَمَّلَتْ عَنْهُ صَحِيحَ حَدِيثِهِ رُسُلُ النَّسِيْمِ وَصَدَّقَ الْخُبْرُ الْخَبَرْ[١٠٢]

ويشير ابن زمرك الأندلسي إلى "الأصول" و"الفروع" في قوله: [الطويل]

إِذَا مَا أُصُولُ الْمَرْءِ طَابَتْ أَرُومَةً فَلَا عَجَبَ أَنْ أَشْبَهَتْهَا فُرُوعُهَا[١٠٣]

ويستوحي ابن زمرك الأندلسي قول– رسول الله صلى الله عليه وسلم– : "مطلُ الغنى ظلم"[١٠٤]، يقول مخاطباً محبوبته المتمنعة :[الطويل]

فَلاَ تَمْطُلُوا دَيْنَ الْمُعَلَّلِ عَنْ غِنىً فَجَانِبُكُمْ سَهْلٌ وَمَنْزِلُكُمْ رَحْبُ[١٠٥]

وليس غريباً أن نجد ابن زمرك الأندلسي يستوعب التراث الشعري ويعتمد عليه أيضاً في صياغة معجمه الشعري، فيخرج لنا مزيج فني رائع فيه عراقة التراث، وذاتية المبدع، وعبقرية التجديد، وهو ما أشار إليه صاحب الوساطة بقوله: " وقد يتفاضل متنازعو هذه المعاني بحسب مراتبهم من العلم بصنعة الشعر، فتشترك الجماعة في الشئ المتداول، وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب، أو ترتيب يستحسن، أو تأكيد يوضع موضعه، أو زيادة اهتدى لها دون غيره، فيريك المشترك المبتذل في صورة المبتدع المخترع[١٠٦] .

فابن زمرك الأندلسي يضمن بعض قصائده أبياتاً من الشعر العربي القديم، أو أنصاف أبيات، وهذا الاقتباس "لايقصد به إلى تغذية الجو التراثي وإضاءة معالمه فحسب، بل يقصد به – في المقام الأول – إلى تعميق الإيحاء السائد في تضاعيف السياق الشعري، وقد يقترن هذا الاقتباس بتغيير في بعض جزئيات المقتبس، وقد يبقى المقتبس بكامل كيانه التراثي وفي تلك الحالة تنهض البنية الشعرية بإلقاء الضوء على الإسقاطات العصرية التي يوحي بها الاقتباس"[١٠٧].

ومن قبيل تضميناته من الشعر العربي القديم، قوله: [الكامل]

وَدَعَوْتُ أَرْبَابَ الْبَيَانِ أُرِيهُمُ : "كَمْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمِ"(١٠٨)

وقد تأثر فيه بقول عنترة بن شداد في معلقته المعروفة: [الكامل]

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ أَمْ هَلْ عَرَفْتِ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ(١٠٩)

ومن ذلك قوله في قصيدته التي مدح فيها السلطان أبي العباس المريني ملك العدوة المغربية عام ٧٨٩هـ، ويذكر فيها ما كان من نجدة السلطان الغني بالله محمد الخامس لملك العدوة المغربية عام ٧٧٦هـ، وقد أعانه مرتين، اسمعه يقول: [الطويل]

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى فَجُودُكَ جُودَ الْغَيْثِ بَذَّ وَأَخْجَلاَ(١١٠)

وقد تأثر فيه بقول الشاعر العباسي ربيعة الرّقي في معرض مدحه يزيد بن حاتم الأزدي والي مصر في هذا الوقت: [الطويل]

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى يَزِيدِ سُلَيْمٍ وَالْيَزِيدِ بْنِ حَاتِمِ(١١١)

وتأثر أيضاً بأسلوب الحسن بن هانئ الذي ضرب أروع الأمثلة في ميدان الابتكار والتجديد الشعري، فتأثر بمعانيه وأساليبه وأفكاره المتنوعة، اسمعه يقول: [الكامل]

سُكْرُ النَّدَامَى مِنْ يَدَيْهِ وَلَحْظِهِ مُتَعَاقِبٌ مَهْمَا سَقَى وَإِذَا نَظَرْ(١١٢)

وفيه اقتباس من قول أبي نواس: [الكامل]

تَسْقِيْكَ مِنْ عَيْنِهَا خَمْرَاً وَمِنْ يَدِهَا خَمْرَاً فَمَا لَكَ مِنْ سُكْرَيْنِ مِنْ بُدِّ(١١٣)

ومن مستويات التضمين لدى ابن زمرك الأندلسي التذيل، ففي التذيل يستمد شاعرنا فكرته من وحي صورة تراثية، ومن ذلك قوله مذيلاً بيتي ابن المعتز الشاعر العباسي المشهور مدخلاً لمدح السلطان الغرناطي الغني بالله محمد الخامس: ومنه قوله: [الطويل]

"سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهٍ بِشَعْرِهَا		شَبِيهَةَ خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيْبِ
فَأَمْسَيْتُ فِي لَيْلَيْنِ لِلشَّعْرِ وَالدُّجَا		وَشَمْسَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَخَدٍّ حَبِيْبِ"
إِلَى أَنْ بَدَا الصُّبْحُ الْمُبِيْنُ كَأَنَّهُ		مُحَيَّا ابْنِ نَصْرٍ لَمْ يُشَنْ بِغُرُوبِ
شَمَائِلُهُ مَهْمَا أُدِيرَتْ كُؤُوسُهَا		قَلاَئِدُ أَسْمَاعٍ وَأُنْسِ قُلُوبِ(١١٤)

وإذا كان ابن زمرك الأندلسي قد اتكأ في شعره على المعجم القرآني، والنبوي، والشعري؛ فإنه اتكأ أيضاً على الأمثال والأقوال المأثورة، والمثل العربي له بعد تاريخي قد استقر في صيغ أدبية، وهو "فلسفة أخلاقية عملية، مادية روحانية، وروحانيتها مسحة أخلاقية كريمة، تحاول أن تعالج حسن التصرف في حياة البادية على أحسن طريقة ممكنة، للحفاظ على الحياة الذاتية والقبلية، وللحفاظ على الشرف الذاتي والقبلي، وللحفاظ على الصيت الحسن والحياة الطبيعية على ألسنة الناس"(١١٥) .

يستوحي ابن زمرك الأندلسي المثل القائل: "أهدى من قطاة"(١١٦)، وهو مثل عربي شهير يضرب في دقة الاهتداء، استعمله شاعرنا في تضاعيف مدحه للسلطان الغرناطي الغني بالله محمد الخامس وطرح صفة الإقدام والشجاعة والجرأة عليه، فقال: [الكامل]

يَـا فَخْـرَ أَنْـدَلُسٍ وَعِصْـمَةَ أَهْلِهَـا		يَجْزِيـكَ عَنْهَـا اللهُ خَيْـرَ جَـزَاءِ
كَمْ خُضْتَ طَوْعَ صَلاَحِهَا مِنْ مَهْمَهٍ		لَا تَهْتَـدِي فِيْـهِ الْقَطَـا لِلْمَـاءِ(١١٧)

ومن الملامح التراثية في شعر ابن زمرك الأندلسي تضمينه الأسماء التراثية في لغته الشعرية، وهذه الأسماء والشخصيات التراثية هي "التي ترن في وجدان المتلقي وسمعه بأبعاد من تجربته المعاصرة، وهذه الأصوات لها في سمع المتلقي صدى خاص لا يخطئ وجدانه التقاطه، وهو حين يستخدم هذه الأصوات يكون قد أضفى على تجربته الشعرية نوعاً من الأصالة الفنية، عن طريق إكسابها هذا البعد التاريخي الحضاري،

وأكسبها في نفس الوقت لوناً من الكلية والشمول، بحيث تتخطى حاجز الزمن، فيمتزج في إطارها الماضي والحاضر في وحدة شاملة"[١١٨] .

وتعددت الشخصيات التراثية لدى ابن زمرك الأندلسي، فهو يجد السلوى في سيرة قيس وغيلان الشاعرين في الحب، وقد سامهما حرق الهوى، يقول: [الطويل]

فَلاَ تُنْكِرَا مَا سَامَنِي مَضَضُ الْهَوَى فَمِنْ قَبْلُ قَدْ أَوْدَى بِقَيْسٍ وَغَيْلاَنِ[١١٩]

وفي إطار تنويع استخدام الشخصية التراثية، يستوحي شاعرنا شخصية الصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري، موظفاً ما تنطوي عليه شخصيته من أصالة وعراقة تضرب بسهم وافر في التاريخ الإسلامي، ومن كرم وجود لا يعرف قيد، فعندما يمدح شاعرنا السلطان الغرناطي الغني بالله محمد الخامس نجده يقول: [الكامل]

أَنَّى يُضَاهِيهِ وَيُشْبِهُ فَخْرَهُ فَخْرٌ وَأَنْصَارُ النَّبِيَّ قَبِيْلُ؟

الْقَوْمُ أَهْلُ اللهِ حِزْبُ رَسُولِهِ فِي وَصْفِهِمْ قَدْ أُحْكِمَ التَّنْزِيْلُ

مَاذَا يُحَبِّرُ شَاعِرٌ فِي مَدْحِهِمْ وَمَدِيحُهُمْ قَدْ نَصَّهُ جِبْرِيلُ[١٢٠]

ومن قبيل ذلك قوله في موضع أخر مشيراً إلى حمل الصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري الداية عن الكفار يوم فتح مكة: [الكامل]

يَهْنِي لِوَاءَكَ أَنَّ جَدَّكَ زَاحِفٌ بِلِوَاءِ خَيْرِ الْخَلْقِ لِلْكُفَّارِ[١٢١]

ويشير في أخرى إلى أن بني نصر أجداد الممدوح أصلهم من الأنصار وجدهم الأعلى هو الصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري سيد الخزرج بلا منازع، فهم نجوم منيرة سكنوا قصر الحمراء، وهو قصر سلاطين بني نصر بغرناطة، يقول: [الطويل]

أَلاَ عِمْ صَبَاحَاً جَاءَ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ فَذَا أَوْرَثَ الْأَنْصَارَ فَخْرَ بَنِي نَصْرِ

أَحَقَّاً نُجُومُ السَّعْدِ عَادَتْ مُنِيْرَةً لِتَطلُعَ بِالْحَمْرَاءِ فِي مَرْقَبِ الْقَصْرِ[١٢٢]

ومن الملامح الأسلوبية الأخرى في شعر ابن زمرك الأندلسي، ميله إلى التجمل بمصطلحات العلوم والفنون المختلفة، فلم يألوا جهداً في إظهار معلوماته الثقافية المختلفة من تاريخ، وفلك، ومنطق، وفقه، ونحو وغيرها من المصطلحات المختلفة من خلال مقطوعاته وقصائده، وهي ظاهرة بارزة في شعره، ومن قبيل ذلك قوله في معرض وصفه لفعل السيف: [الكامل]

وَلُرُبَّ لَمَّاعِ الصِّقَالِ مُشَهَّرٍ مَاضٍ وَلَكِنْ فِعْلُهُ مُسْتَقْبَلُ
رَقَّتْ مَضَارِبُهُ وَرَاقَ فِرَنْدُهُ فَالْحُسْنُ فِيْهِ مُجْمَلٌ وَمُفَصَّلُ(١٢٣)

ومن الظواهر الشديدة الصلة بعلم الفلك ظاهرتا "المد والجز"، وقد وردتا في شعر له يقول فيه: [الطويل]

أَإِنْسَانَ عَيْنِ الدَّهْرِ جَفْنُكَ قَدْ غَدَا يَحُفُّكَ مِنْهُ طَائِرُ الْيُمْنِ وَالسَّعْدِ
إِذَا مَا هَفَا فَوْقَ الرُّؤُوسِ شِرَاعُهُ أَرَاكَ جَنَاحَاً مُدَّ لِلْجَزْرِ وَالْمَدِّ(١٢٤)

وقد تنوعت الأساليب التي استعملها ابن زمرك الأندلسي تنوعاً يشهد بمقدرة فنية عالية على امتلاك ناصية القول، وقدرة على النبوغ في استخدامها، واستطاع شاعرنا توظيف هذه الأساليب المتنوعة في التعبير عن الأفكار والمعاني التي كان يهدف للتعبير عنها، وبدا هذا جلياً من خلال اهتمامه بانتقاء ألفاظه ومهارته في التأليف والتنسيق وصياغتها في أساليب معبرة مؤثرة.

تكررت أساليب النداء كثيراً لدى ابن زمرك الأندلسي، والمتتبع لديوان شاعرنا يجد أن أساليب النداء جاءت في مواضع متعددة، وقد ظهر هذا جلياً في أغراض متنوعة منها: الدعوة إلى الجهاد، والاستنجاد وطلب النصرة، ووصف الانتصارات، والحنين إلى مسقط رأسه، ومن هذا ما جاء في قوله: [البسيط]

يَا مَنْ يَحِنُّ إِلَى نَجْدٍ وَنَادِيهَا غَرْنَاطَةٌ قَدْ ثَوَتْ نَجْدٌ بِوَادِيهَا(١٢٥)

والنداء كثير في شعر ابن زمرك الأندلسي، وقد أومأت إلى طرف منه وأحيل القارئ إلى نماذج أخرى له[١٢٦].

ويعدُّ أسلوب الاستفهام من أهم الأساليب التي استعان بها ابن زمرك الأندلسي للتعبير عن معانيه وأفكاره، وذلك لما يقوم به هذا الأسلوب من دور فعال يحقق قيماً فنية عالية على مستوى الشكل والمضمون، وقد استخدم ابن زمرك الأندلسي أسلوب الاستفهام في معرض تغزله وقد انصرم حبل الوصل بينه وبين محبوبته، فأخذ يتحدث إلى نفسه ويمنيها باللقاء، لكن يبدو أنها أمنية لا مطمع في نيلها، فإن الأماني خدع، يقول: [الكامل]

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى خُدَعُ الْهَوَى مِنْ بَعْدِ مَا جَنَتِ الْهَوَى هَلْ نَلْتَقِي؟[١٢٧]

وأسلوب الاستفهام كثير في شعر ابن زمرك الأندلسي، وقد أومأت إلى طرف منه وأحيل القارئ إلى نماذج أخرى له[١٢٨].

واستعمل ابن زمرك الأندلسي أسلوب الشرط في معرض رثائه لسلطانه الغني بالله محمد الخامس، لما فيه من فسحة يستطيع من خلاله أن يأتي بالبراهين والأدلة، على أن هذا السلطان النصري ليس له مثيل في أي زمان ومكان، وفي مقابل هذا فهو متفائل بأن ولي عهده سيكون عظيماً مثله وسينهض بأعباء المملكة من بعده على أكمل وجه، اسمعه يقول: [الطويل]

لَئِنْ غَرَبَ الْبَدْرُ الْمُنِيْرُ مُحَمَّدٌ لَقَدْ طَلَعَ الْبَدْرُ الْمُكَمَّلُ يُوسُفُ
وَإِنْ رُدَّ سَيْفُ الْمُلْكِ صَوْنَاً لِغِمْدِهِ فَقَدْ سُلَّ مِنْ غِمْدِ الْخِلَافَةِ مُرْهَفُ
وَإِنْ طَوَتِ الْبُرْدَ الْيَمَانِي يَدُ الْبِلَى فَقَدْ نُشِرَ الْبُرْدُ الْجَدِيْدُ الْمُفَوَّفُ
وَإِنْ نَضَبَ الْوَادِي وَجَفَّ مَعِيْنُهُ فَقَدْ فَاضَ بَحْرٌ بِالْجَوَاهِرِ يَقْذِفُ
وَإِنْ صَوَّحَ الرَّوْضُ الَّذِي يُنْبِتُ الْغِنَى فَقَدْ أَنْبَتَ الرَّوْضُ الَّذِي هُوَ يُخْلِفُ
وَإِنْ أَقْلَعَتْ سُحْبُ الْحَيَا وَتَقَشَّعَتْ فَقَدْ نَشَأَتْ مِنْهَا غَمَائِمُ وُكَّفُ(١٢٩)

ويعدُّ أسلوب القصر من الأساليب التي اعتمد عليها ابن زمرك الأندلسي، إذ عبَّر من خلاله عن تجاربه الشعرية المختلفة، وكان لاستخدامه وأداؤه للمعاني المختلفة وتنوع أدواته ممثلاً لظاهرة أسلوبية مميزة لديه، اسمعه يقول: [الطويل]

وَمَا أَنْتَ إِلاَّ الشَّمْسُ إِنْ غَابَ قُرْصُهَا يَلُوحُ بِبَدْرٍ نُورُهَا وَشِهَابِ
وَمَا أَنْتَ إِلاَّ الْمِسْكُ إِنْ تَخْفَ ذَاتُه يَنِمُّ لَهُ عُرْفٌ وَرَاءَ غِيَابِ(١٣٠)

٢- الصورة الشعرية:

تعدّ الصورة الشعرية من أهم الوسائل التي اعتمد عليها ابن زمرك الأندلسي في إبراز أفكاره والتأثير في متلقيه، وللصورة الشعرية دور في إزالة الإبهام والغموض وفي الشرح والتوضيح وإبراز المعنوي في صورة المحسوس، وبها أيضاً يستطيع الشاعر أن "يحمل المتلقي على أن يتجاوب ويتأثر به، ويستشعر جمال تجربته بمعرفة ذاته، ويستشعر الإشراق للغة الفنان في التعبير عنه"(١٣١).

وقد تشعبت وتعددت آراء النقاد القدامى والمحدثين في تعريف الصورة الشعرية، تبعاً لاختلاف مشاربهم واتجاهاتهم النقدية والفنية، فهي على حد قول الدكتور عبد القادر القط: "الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات، بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص، ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع، والحقيقة والمجاز،

والترادف والتضاد، والمقابلة والتجانس، وغيرها من وسائل التعبير الفني"[١٣٢]، وأضاف إلى هذا التعريف قوله : "والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى، التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني، أو يرسم بها صورة الشعرية"[١٣٣].

ويربط الدكتور عبد الفتاح عثمان بين الخيال والصورة الشعرية، فيقول: "إن الخيال يرتبط بالصورة لأنها في الواقع أداته الطيعة التي يمارس من خلالها فاعليته ونشاطه، ويعقد صلات بين المدركات العقلية والمدركات الحسية، فالصورة الفنية في أوضح مدلولاتها هي التعبير الحسي عن المعنى المجرد"[١٣٤].

والمعروف أن الصورة الشعرية تنقسم إلى قسمين: الصورة الجزئية التي تتنوع لتشمل التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، والصورة الكلية هي "صورة داخل العمل الفني تحمل من الإحساس وتؤدي من الوظيفة ما تحمله وتؤديه الصور الجزئية الأخرى المجاورة لها، وإن مجموع هذه الصور الجزئية تتألف الصور الكلية"[١٣٥] .

يعدّ التشبيه من الألوان البيانية التي تضفي على الأسلوب جمالاً ورونقاً؛ لأن "من شأن التشبيه تقرير شكل المشبه في الذهن، وتعميق معناه، والإلحاح عليه بالتثبيت، وبالتالي فهو يرسم له صورة بارزة المعالم في ذهن السامع"[١٣٦].

وهو أيضاً "تعبير ممتاز، تعمد إليه النفوس بالفطرة حين تسوقها الدواعي إليه، يرسم الصورة فينتقل المعنى في وضوح، كأنما نراه بأبصارنا ونلمسه بأصابعنا"[١٣٧].

أما عن التشبيه لدى ابن زمرك الأندلسي فقد تعددت ألوانه وتنوعت أشكاله، وكثر كثرة واضحة على خارطة ديوانه الشعري، فمن تشبيهاته المفردة التي تجمعت لترسم صورة فنية تفيد المعنى، قوله مشبهاً بريق النجوم في غسق الليل ببريق حبات اللؤلؤ في حلكة سواد الأبنوس: [الخفيف]

وَكَأَنَّ النُّجُومَ فِي غَسَقِ اللَّيْلِ جُمَانُ يَلُوحُ فِي آبَنُوسِ(١٣٨)

واستخدم ابن زمرك الأندلسي التشبيه في معرض رثائه الغني بالله محمد الخامس فنجده يعقد موازنة بين واقعين هما: واقع الممالك التي أسلمت على يديه دون مقاومة تذكر ودانت له بالسمع والطاعة، فهو يشبهها بإنسان يمد يده جانحاً إلى السلام، والواقع الثاني يمثل النواقيس التي أخرست على يديه، فهو يشبهها بإنسان لا يتكلم، ولعل الهدف من إيراد مثل هذا التشبيه هو إبراز بطولة ممدوحه وشجاعته، اسمعه يقول: [الطويل]

وَقَامَ بِمَفْرُوضِ الْجِهَادِ عَنِ الْوَرَى وَعَوَّدَ دِيْنَ اللهِ خَيْرَ مُعَوَّدِ
وَفَتَّحَ بِالسَّيْفِ الْمَمَالِكَ عَنْوَةً وَمَدَّتْ لَهُ أَمْلاَكُهَا كَفَّ مُجْتَدِي
وَكَسَّرَ تِمْثَالَ الصَّلِيْبِ وَأُخْرِسَتْ نَوَاقِيْسُ كَانَتْ لِلضَّلاَلِ بِمَرْصَدِ
وَطَهَّرَ مِحْرَاباً وَجَدَّدَ مِنْبَرَا وَأَعْلَنَ ذِكْرَ اللهِ فِي كُلِّ مَسْجِدِ(١٣٩)

ومن ذلك قول ابن زمرك مشبهاً سيف الغني بالله في حدته وبريقه بلمع البرق، وكف في السخاء والكرم تفوق الغيث الهطل :[الخفيف]

ذُو حُسَامٍ كَأَنَّهُ لَمْعُ بَرْقٍ فِي بَنَانٍ كَأَنَّهَا غَيْثُ سُحْبِ(١٤٠)

وقد ادعى ابن زمرك الأندلسي في معرض مدحه للسلطان الغرناطي محمد الخامس الغني بالله أن البحر ما هو إلا إحدى صور عطاياه غير المحدودة، وقد عمد إلى التشبيه فقلبه، وفي إثبات ذلك الحق لجأ شاعرنا إلى استخدام عدة مؤكدات كالقسم، والجملة الإسمية، والقصر، وقصر الصفة على الموصوف، وفي هذا مبالغة مقبولة، يقول:[المتقارب]

وَوَاللهِ مَا الْبَحْرُ إِلاَّ نَدَاهُ وَوَاللهِ مَا الدُّرُّ إِلاَّ كَلاَمَهْ(١٤١)

ويرى ابن زمرك الأندلسي أن محبوبته من شدة تثنيها ولينها سلبت الظبي حسنة وبخاصة عينه وجيده، وهي التي وهبت الغصن اعتدال قوامه ولينه، وقد عمد أيضاً إلى التشبيه فقلبه، يقول: [المتقارب]

لَقَدْ سَلَبَ الظَّبْيَ لَحْظَاً وَجِيْدَاً وَقَدْ وَهَبَ الْغُصْنَ لِيْنَاً وَقَامَهْ
فَأَطْلَعَ بَدْرَاً يَرُوقُ الْعُيُونَ وَتَهْوَى بُدُورُ التَّمَامِ تَمَامَهْ(١٤٢)

أما عن الاستعارة في شعر ابن زمرك الأندلسي فقد ظهرت واضحة في أشعاره، ولعلها من أكثر أغراض البيان ظهوراً ويعود هذا إلى ما تحمله من دلالات تثير فينا الشوق والرغبة في معرفة المكنون الذي يستتر وراءها(١٤٣).

ويوظف ابن زمرك الأندلسي الاستعارة في معرض رثائه للسلطان الغرناطي الغني بالله محمد الخامس حيث يدعي مشاركة الطبيعة له في حزنه، فالأرض تبكي؛ لأن السلطان النصري هو الذي كان يغيث أهلها، كذا الشهب ما انقطعت عن البكاء منذ وفاة مليكه، فقد فقدت بموته مصدر الإشراق والنور، كذلك فعلت السحب هي الأخرى، فدعي أنها تمطر ملء جفونها حتى تملأ الأرض القفر، ولم ينس أن يشرك النجوم المنيرة معه في حزنه على مليكه، حيث جعلها تتوشح بالسواد حداداً عليه، وقد استطاع شاعرنا تشخيص مظاهر الطبيعة المختلفة الأرض، والشهب، والسحب، والنجوم، فشبه كل منها بإنسان عاقل يبكي أو يلبس ملابس الحداد لفراق سلطانه، هادفاً من وراء ذلك إظهار عظم الفقد وشدة المصاب، يقول: [الطويل]

سَتَبْكِيكَ أَرْضٌ كُنْتَ غَيْثَ بِلاَدِهَا وَتَبْكِيكَ حَتَّى الشُّهْبُ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
وَتَبْكِي عَلَيْكَ السُّحْبُ مِلْءَ جُفُونِهَا بِدَمْعٍ يُرَوِّي غُلَّةَ الْمُجْدِبِ الصَّدِى
وَتَلْبَسُ فِيْكَ النَّيِّرَاتُ ظَلاَمَهَا حِدَادَاً وَيُذْكِي النَّجْمُ جَفْنَ مُسَهَّدِ(١٤٤)

ويشخص ابن زمرك الأندلسي البرق والريح في صورة فنية رائعة، حيث جعل للبرق جواداً يسابق به الجواد الأشقر، وجعل للرياح جياداً، وذلك في تضاعيف مدحه للسلطان الغرناطي الغني بالله محمد الخامس، يقول:[الطويل]

وَأَشْقَرُ مَهْمَا جَاوَلَ الْبَرْقَ فِي مَدَىً يَفُوتُ جَوَادَ الْبَرْقِ مِنْهَا الْمُجَاوِلُ(١٤٥)

ونالت الاستعارة التجسيدية حظاً وفيراً من عناية ابن زمرك الأندلسي، مما تجلى في "تقديم المعنى في جسد شيئي، أو نقل المعنى من نطاق المفاهيم إلى المادية الحسية"(١٤٦)، وهذه صورة فنية جسد من خلالها ابن زمرك الأندلسي الفكر بحراً، والشعر جواهر تنظم في عقد، فقال:[الطويل]

فَأَصْدَقْتُهَا مِنْ بَحْرِ فِكْرِي جَوَاهِرَاً تُنَظَّمُ مِنْ دُرِّ الدَّرَارِيِّ فِي عِقْدِ(١٤٧)

وفي تضاعيف مدحه للسلطان الغرناطي الغني بالله محمد الخامس يجسد ابن زمرك الأندلسي صفات ممدوحه، فيجعلها دراً مفصلة على جيد الزمان، فيقول: [الكامل]

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي أَوْصَافُهُ دُرٌّ عَلَى جِيْدِ الزَّمَانِ مُفَصَّلُ(١٤٨)

ونالت الاستعارة التجسيمية حظاً ضئيلاً من عناية ابن زمرك الأندلسي، مما تجلى في "إيصال المعنى المجرد مرتبة الإنسان في قدرته واقتداره"(١٤٩)، ومن قبيل ذلك قوله مجسماً الأيام تسأل وتجيب بالرفعة والمنزلة العالية بقوم ممدوحه السلطان الغرناطي الغني بالله محمد الخامس، فقال:[الطويل]

وَمَنْ يَسْأَلِ الأَيَّامَ تُخْبِرْهُ أَنَّهَا بِقَوْمِكَ تُزْهَى فِي الْفَخَارِ وَتَشْرُفُ(١٥٠)

أما عن الكناية لدى ابن زمرك الأندلسي فتؤدي المعنى مصحوباً بدليله، وإنما كان ذلك "لأنها تفيد تأدية المعنى بذكر لازم من لوازمه، واللازم يستدعي وجود الملزوم حتماً، فإذا عدلنا عن التصريح بالمعنى إلى الكناية عنه، فقد أديناه مصحوباً بدليله، ولا

جدال في أن ذكر الشئ مصحوباً بدليله وبرهانه أوقع في النفس، وآكد لإثباته من أن تثبته ساذجاً غفلاً من غير برهان"(١٥١) .

واستعان ابن زمرك الأندلسي بأسلوب الكناية في بناء بعض صوره الشعرية من خلال قصائده المتنوعة، فيتخذ من الكناية في قوله "ضاق الفضاء" أداة لذلك، حيث إن الفضاء الفسيح يضيق عن احتواء تلك الجيوش المحملة بالسلاح، فقال: [الكامل]

زَخَرَتْ بِأَمْوَاجِ الْحَدِيْدِ وَرُبَّمَا ضَاقَ الْفَضَاءُ فَمَا وَجَدْنَ سَبِيْلاَ(١٥٢)

ويصف وفد الأحباش الذين أتوا بالزرافة إلى سلطان الأندلس الغني بالله محمد الخامس، فيتخذ من الكناية في قوله "مشتمل الدجى" أداة لذلك، وهي كناية عن سواد بشرتهم، فالمعهود أن الأحباش سود البشرة جداً، يقول: [الكامل]

يَقْتَادُهَا مِنْ كُلِّ مُشْتَمِلِ الدُّجَى وَكَأَنَّمَا عَيْنَاهُ جُذْوَةُ نَارِ(١٥٣)

والمجاز– عقلياً كان أم مرسلاً– فقد جاء الاتكاء عليه محدوداً في شعر ابن زمرك الأندلسي إذا ما قورن بوسائل التشكيل الأخرى، فمن نماذج هذا التصوير لديه قوله مستخدماً كلمة الأيادي بمعنى النعمة في تضاعيف مدحه للسلطان الغرناطي الغني بالله محمد الخامس: [الكامل]

وَلَكَ الْأَيَادِي الْبِيْضُ قَدْ طَوَّقْتَهَا صِيْدَ الْمُلُوكِ ذَوِي التِّلاَدِ الْأَقْدَمِ(١٥٤)

ومن الصور الكلية في مجال الوصف قول ابن زمرك الأندلسي واصفاً الجواد الأحمر وقد خالطه حمرة، فلجأ إلى الطبيعة ليستوحي منها صوره المتنوعة، والتي جاءت أشبه بحلقة كل واحدة تتبع الأخرى، وتشد من ساعدها، ونجد أن اللوحة الأولى في البيت الأول قد استمدت دلالاتها من عالم الطبيعة بخلاف اللوحة التي تليها حيث استمدت مادتها من جو المعارك، كما مهدت لنمو اللوحة التي تليها في البيت الثاني وهكذا، يقول: : [الطويل]

وَأَحْمَـرُ زَانَ الْـوَرْدُ مِنْـهُ خَمِيْلَـةً يَحُفُّ بِهِ نَهْرٌ مِنَ السَّيْفِ سَائِلُ
جَرَتْ لَوْنَـهُ مِـنْ فَوْقِـهِ مُهَـجُ الْعِـدَى فَلِلَّهِ مِنْـهُ الْجَامِـدُ الْمُتَسَـايِلُ
تَلَاقَـى بِـهِ أَمْثَالَـهُ فَكَأَنَّهَـا جِمَارٌ وَقَدْ أَذْكَى بِهَا الْبَاسَ بَاسِلُ
إِذَا قُبِسَتْ بِالرَّكْضِ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى تُنِيْرُ بِهَا لَيْلَ الْقَتَامِ مَشَاعِلُ(١٥٥)

٣- الموسيقى الشعرية:

اهتم ابن زمرك الأندلسي بالوزن والقافية، وهما جانبا الموسيقى الخارجية، واهتم كذلك بالموسيقى الداخلية التي تأتي بعد بالوزن والقافية، ويدخل فيها الجناس، ورد العجز على الصدر، والتصريع، والترصيع، والطباق، والمقابلة، وسائر ألوان المحسنات البديعية الأخرى، وقد استخدم ابن زمرك الأندلسي هذه المحسنات كثيراً تحسيناً لأسلوبه وتنميقاً لكلامه حتى "أسرف الشعراء والأدباء في العصور المتأخرة، غاية الإسراف في استعمال المحسنات البديعية، إما إعجاباً بها أو إخفاء لفقرهم بالمعاني"(١٥٦).

وقد برزت الموسيقى الداخلية لديه من خلال استخدامه مجموعة من الأساليب اللفظية والمعنوية، وأهمها: الطباق وهو على حد قول ابن رشيق القيرواني "المطابقة في الكلام أن يأتلف في معناه ما يضاد في فحواه، والمطابقة عند جميع الناس جمعك بين الضدين في الكلام"(١٥٧)، وقد أقام ابن زمرك الأندلسي قصائد كاملة من خلال الجمع بين المتناقضات، فهو يعبر عن الشئ وضده، يقول: [الطويل]

رَضِيْتُ بِمَا تَقْضِي عَلَيَّ وَتَحْكُمُ أُهَـانُ فَأُقْصَـى أَمْ أَعَـزُّ فَـأُكْرَمُ
عَلَى أَنَّ رُوحِي فِي يَدَيْكَ بَقَاؤُهَا بِوَصْـلِكَ تَحْيَـى أَوْ بِهَجْـرِكَ تُعْـدَمُ
وَأَنْتَ إِلَى الْمُشْتَاقِ نَارٌ وَجَنَّةٌ بِبُعْدِكَ يَشْقَى أَوْ بِقُرْبِكَ يَنْعَمُ(١٥٨)

ويطابق ابن زمرك الأندلسي بين لفظتين يجريهما مجرى الاستعارة من خلال مدحه للسلطان الغرناطي الغني بالله محمد الخامس، يقول: [الطويل]

وَمَهْمَا غَدَا سَفَّاحُ سَيْفِكَ عَارِيَا يُغَادِرُ وَجْهَ الْأَرْضِ بِالدَّمِ كَاسِيَا[١٥٩]

والجناس تشابه كلمتين في اللفظ مع اختلاف في المعنى[١٦٠]، وقد أورد ابن زمرك الأندلسي منه كثيراً جداً في شعره، فنجده يعمدّ إليه عمداً، وكأنه يعتقد أن أروع الشعر أكثره صنعة وتكلفاً، ومن الجناس التام ما نراه لديه حيث يقول: [الطويل]

هُوَ النَّجْمُ حَقًّاً قَدْ تَطَلَّعَ مِنْ بَدْرِ لِوَارِثِ أَنْصَارِ النُّبُوَّةِ فِي بَدْرِ[١٦١]

جاء الجناس بين كلمتين الأولى "بدر" وتدل على الجمال، والثانية "بدر" وهي معركة بدر الكبرى التي انتصر المسلمون فيها، والشاعر يهدف بهذا الربط أن يرفع من شأن ومكانة السلطان الغرناطي محمد الخامس الغني بالله بين الملوك والسلاطين الأخر.

ومن ذلك قوله: [الطويل]

سَلِ الْأُفْقَ بِالزُّهْرِ الْكَوَاكِبِ حَالِيَا فَإِنِّيَ قَدْ أَوْدَعْتُهُ شَرْحَ حَالِيَا[١٦٢]

فقد جانس ابن زمرك الأندلسي بين "حاليا" الأولى، بمعنى مزين وموشى، وكلمة "حاليا" الثانية، وهي الحال التي يكون عليها الإنسان من سرور أو حزن أو غيره .

وثاني أنواع التجنيس لدى ابن زمرك الأندلسي التجنيس الناقص : وهو : ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور "أنواع الحروف، أعدادها، هيئتها، ترتيبها" [١٦٣]، فمنه قوله: [الطويل]

هَنَاءٌ لَهُ ثَغْرُ الْهُدَى يَتَبَسَّمُ وَبُشْرَى بِهَا عَرْفُ الرِّضَى يَتَنَسَّمُ[١٦٤]

وحفلت الموضوعات الشعرية لدى ابن زمرك الأندلسي بهذه الظاهرة الفنية– حسن التقسيم– التي استهوته لما وجد فيها من" تقطيع الأجزاء مسجوعاً أو شبيهاً بالمسجوع"[١٦٥]، ومن الأمثلة التي برزت لديه في حسن التقسيم، قوله في تضاعيف مدحه لأبناء السلطان الغرناطي محمد الخامس الغني بالله: :[الطويل]

غُيُوثُ سَمَاحٍ وَالْعُفَاةُ تُسَائِلُ لُيُوثُ كِفَاحٍ وَالْكُمَاةُ تُنَازِلُ(١٦٦)

ومن أنواع التقسيم الموسيقي ما يعرف بالترصيع، وهو "ما يكون فيه تقطيع الأجزاء مسجوعاً أو شبيهاً بالمسجوع"(١٦٧)، ومن ذلك قوله: [الطويل]

مَلِيْكٌ لَهُ تَعْنُو الْمُلُوكُ جَلَالَةً يُجَرِّرُ أَذْيَالَ الْفَخَارِ مُطَالَةَ

وَتَفْرَقُ أُسْدُ الْغَابِ مِنْهُ بَسَالَةً وَتَرْضَاهُ أَنْصَارُ الرَّسُولِ سُلَالَةَ(١٦٨)

ومن خلال الموضوعات الشعرية التي تميز بها ابن زمرك الأندلسي، فإننا نلاحظ وجوداً للتكرار في كثير من الأبيات الشعرية لديه، ومن الأمثلة التي برزت لديه قوله في معرض رثائه لوالد السلطان الغرناطي محمد الخامس الغني بالله: [الطويل]

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا جَمِيْعَاً وَمَا فِيْهَا غَدَاةَ نَعَتْ شَمْسُ الْخِلَافَةِ مَنْ فِيْهَا

نَعَتْ مَلِكَ الْأَمْلَاكِ وَالْكَافِلَ الَّذِي يَكُفُّ عَوَادِي الْحَادِثَاتِ وَيَكْفِيْهَا

عَمِيْدُ بَنِي الْأَنْصَارِ غَيْرَ مُدَافَعٍ وَمُحْيِي مَعَالِيهَا وَمَوْلَى مَوَالِيهَا

وَبَدْرَ دَيَاجِيهَا وَشَمْسَ نَهَارِهَا وَبِشْرَ مُحَيَّاهَا وَنُورَ مَجَالِيهَا(١٦٩)

ولابن زمرك الأندلسي إسهامات فنية متنوعة في توظيف التصريع لبناء الصورة الشعرية، فمن ذلك قوله: [الكامل]

زَارَ الْخَيَـــالُ بِـــأَيْمَنِ الـــزَّوْرَاءِ فَجَلاَ سَنَاهُ غَيَاهِبَ الظَّلْمَاءِ

وَسَرَى مَعَ النَّسَمَاتِ يَسْحَبُ ذَيْلَهُ فَأَتَتْ تَنِمُّ بِعَنْبَرٍ وَكِبَاءِ(١٧٠)

ورد العجز على الصدر من ظواهر الإيقاع المتصلة بالموسيقى الشعرية اتصالاً وثيقاً، وهو " كل كلام منثور أو منظوم يلاقي في آخره أوله بوجه من الوجوه ...."(١٧١)، وهو فى الشعر "أن يكون أحدهما فى آخر البيت ، والآخر يكون فى صدر المصراع الأول أو فى حشوه أو فى آخره أو فى صدر المصراع الثاني"(١٧٢)، فمن ذلك قوله حيث يرد "تبسم" على "التبسم": [الطويل]

تَبَسَّمَ ثَغْرُ الثَّغْرِ عَنْهَا بِشَارَةً فَأَعْدَى ثُغُورُ الثَّغْرِ مِنْهُ التَّبَسُّمُ (١٧٣)

وهكذا برز تركيز ابن زمرك الأندلسي واضحاً بما وفرّ من موسيقى داخلية أثرت النص الشعري، فحرص في الموسيقى الداخلية على حسن اختيار النغم الموسيقي الذي أحدث أثراً موسيقياً تطرب له الأذان، فنحى منحى الشعراء القدماء في ذلك.

الخاتمة:

من كل ما سبق يتبين لنا أن الشعر الأندلسي وثق الأحداث المتنوعة "سياسية وفكرية واجتماعية واقتصادية" في ظل سلاطين وخلفاء مملكة بني الأحمر، وكان لابن زمرك الأندلسي نصيب وافر في هذا الميدان، رصد فيه كثيراً من الأحداث التاريخية التي عاصرتها مملكة بني الأحمر في حقبة ضنت بها المصادر، وأسهم في توثيقها إسهاماً فاق كتب التاريخ والآثار أحياناً، ومن هنا تظهر القيمة الوثائقية التاريخية لديوان ابن زمرك الأندلسي.

وقد استطاع ابن زمرك الأندلسي أن يسجل ويرصد الأحداث والوقائع التي عاصرها في كنف السلطان الغرناطي الغني بالله محمد الخامس، حيث إن المدة التي قضاها معه تربو على الثلاثين عاماً، وهي فترة طويلة- بلا شك- عمل فيها أولاً كاتب سر، ثم وزيراً بعد فرار أستاذه لسان الدين بن الخطيب إلى عدوة المغرب عام ٧٧٣هـ، ومن هنا جاز لنا أن طلق عليه شاعر ملكي استطاع أن يسجل بجدارة وبنظرة تعلو المورخ أحياناً- على حد اعتقادي- الوقائع والمنافسات السياسية، والحربية، والعسكرية بين سلطان غرناطة وبين سلاطين بني مرين أصحاب العدوة المغربية من ناحية، وبين السلطان الغرناطي وملوك الإسبان النصارى من ناحية أخرى، بطريقة تفوق المؤرخين وكتب التاريخ التي تعرضت لهذه الفترة .

وتتنوع فنونه وأغراضه الشعرية ما بين مدح، ووصف، ورثاء، وهجاء... وفيها إشارات قيمة تزيد التاريخ الإسلامي تفصيلاً ووضوحاً، وهو ما يؤكد الوثيقة التاريخية

لقصيدة ابن زمرك الشعرية، وهي وثيقة أصيلة في مضمونها وموضوعها تتدارك ما أغفلته كتب التاريخ من معلومات وحقائق دقيقة .

وقد مال ابن زمرك الأندلسي إلى استخدام الألفاظ الجزلة والمعجمية، والألفاظ اللينة السهلة، والصور الحضرية، وقلما نعثر على ألفاظ غريبة في أشعاره، كما أدخل بعض الألفاظ النصرانية في شعره؛ لمعايشته للنصارى الإسبان في تلك البلاد، وقد عكست أشعاره عدة مؤثرات كان لها نصيب وافر في تكوين ثقافته الأدبية، ولعل أبرزها القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكذلك التراث الشعري القديم، والأمثال والأقوال المأثورة، والأعلام والشخصيات التراثية، كما تأثر بالعلوم والثقافات المختلفة ومصطلحاتها، كما تنوعت الأساليب التي استخدمها شاعرنا ما بين الخبر والإنشاء، وظهر جلياً مدى براعته وقدرته الفنية على توظيف الأساليب المختلفة توظيفاً جيداً استطاع من خلالها التعبير عن تجاربه الشعرية، فجاء الأسلوب ملائم للمعنى الذي يهدف إليه.

وتتنوع صوره الشعرية ما بين الصورة الجزئية "التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز"، والصورة الكلية وهي أشبة بلوحة متكاملة الأطراف والعناصر، وقد توسل في تشكيلها بوسائل مختلفة من: تشخيص، وتجسيم، وتجسيد، فكانت الصور باعثة على الحركة والحياة وموحية بالرؤية المميزة لديه.

وظهرت الموسيقى الداخلية لديه من خلال استخدام المحسنات البديعية "اللفظية والمعنوية"، وقد أسرف إسرافاً مبالغاً فيه، بل أظهر مقدرة فائقة على اجتلاب الزخارف اللفظية التي أسهمت في وضوح المعنى الذي يهدف إليه.

الهوامش:

(١) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، جـ٧، ص ١٦٧ .

(*) راجع ترجمته في : لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبدالله عنان ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، سنة ٢٠٠١م ، جـ٢، ص ٣٠٠، واللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، سنة ١٩٢٨، ص ١١٨، والكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣م، ص ٢٨٢، وابن الأحمر، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧م، ص ٣٢٦، ترجمة رقم ١٨، والمقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٨٨م ، جـ٧، ص ١٤٥ وما بعدها، وأزهار الرياض في أخبار عياض، ضبطه وحققه وعلق عليه مصطفى السقا وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م، جـ٢، ص ٢١، وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الله، مطبعة المدني، القاهرة، ط٢، ١٩٦٦م، جـ٦، ص ٦٨، ترجمة رقم ٢١٨٧، وابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والنشر، ١٩٧٣م، جـ١، ص ٣١٢، ترجمة رقم ٣١٨، وابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١م، ص٢٨٢، وتاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر ومنم عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، مصور عن طبعة بولاق ، طبعة ١٢٨٤هـ ، جـ٧، ص ١٠٧٦-١٠٩٢، وكارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة غريب محمد غريب وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م، القسم السابع، جـ١٢، ص ٥١٩، وعمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ج٦، ص٥٦٩، وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين"تراجم مصنفي الكتب العربية"، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م، جـ٦، ص ١٣٥، وأحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط١، ١٩٨٩م، ص ٤٧٨، والزركلي، الأعلام "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب

والمستعربين والمستشرقين"، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م، ج٧، ص١٥٤، ومحمد عبد الله عنان، دولة الإسلام فى الأندلس ، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، طبعة خاصة من مكتبة الخانجى لمكتبة لمكتبة الأسرة ، القاهرة ، سنة ٢٠٠٣م ، جـ٧،ص ٤٨٢، وشوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات الأندلس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٢٠٧، ومحمد عبد الله عنان، لسان الدين بن الخطيب، حياته وتراثه الفكري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٦٨م، ص ١٢٥، ومحمد رضوان الداية، المختار من الشعر الأندلسي، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٩٩٢م، ص ٢٠٢، وأحمد سليم الحمصي، ابن زمرك الغرناطي، سيرته وأدبه، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص ١٥ وما بعدها، وبطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٩م، ص٤٣، واميليوغرسية غومث، مع شعراء الأندلسي والمتنبي، سير ودراسات، ترجمة د. الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٧٤م، ص ١٩٠، وآنخل بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٦م،ص ١٦٩ وما بعدها، وابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، تحقيق محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص٥وما بعدها .

(٢) البيازين : هو أحد أحياء مملكة بني الأحمر الشعبية، يقع شمالها الغربي على الضفة اليمنى لنهر "الدارو" كان صيادو البازي يسكنونه، وهو كثير العمارة، كان يخرج منه خمسة عشر ألف مقاتل، وهو ربض مستقل بحكامه وقضاته، وغير ذلك. انظر : القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الأنشا، تحقيق نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، جـ٥، ص ٢٠٧.

(٣) انظر : المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، جـ٧، ص ١٦٥ .

(٤) انظر : ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، جـ٢، ص ٣٠١، وشوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات الأندلس، ص ٢٠٧ .

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، جـ٢، ص ٣٠٢-٣٠٣ .

(٦) ابن زمرك، الديوان، ص ١٠ .

(٧) انظر : ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ٧، ص ٦٩١، ومحمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ص ١٤٠ .

(٨) انظر : المقري، نفح الطيب، جـ٧، ص ١٦٧، ومحمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، جـ٧، ص ٤٨٢ .

(٩) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، جـ٧، ص ٤٧٦ .

(١٠) المقري، نفح الطيب، ، جـ ٧ ، ص ١٧٠ .

(١١) هو: محمد بن محمد بن محمد أبو بكر بن عاصم القيسي الغرناطي الأندلسي، قاض من فقهاء المالكية بمملكة بني الأحمر، وله باغ طويل في علوم الشريعة واللغة والأدب، وكان أهل غرناطة يلقبونه بابن الخطيب الثاني، ومن شيوخه: الشريف الغرناطي، وابن الحاج البلفيقي، وابن لب، ولد بغرناطة سنة ٧٦٠هـ وتوفي بها سنة ٨٢٩هـ، له مؤلفات منها: منظومة تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام مطبوعة، انظر: المقري، نفح الطيب، ، جـ ٥ ، ص١٩ – ٢٢، والزركلي، الأعلام، ج٧، ص٤٥، وأحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص٤٩١ .

(١٢) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، جـ٧، ص ١٦٩ .

(١٣) انظر : المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، جـ٧، ص ١٦٩.

(١٤) لقد اختلف حول تاريخ مقتل ابن زمرك الأندلسي، فالمقري يذكر أن ذلك كان بعد عام ٧٩٥هـ، انظر : المقري، نفح الطيب، جـ٧، ص ١٧٠، والدكتور أحمد سليم الحمصي يرجح أنه كان في سنة ٧٩٦هـ. انظر : الحمصي، ابن زمرك الغرناطي، سيرته وأدبه، ص ٩٧، وكذلك رأى إميليو غرسيه غومس، انظر : اميليو غرسيه، مع شعراء الأندلس والمتنبي، ص ١٩١، بينما ذكر الزركلي أن وفاته كانت في عام ٧٩٣هـ، انظر: الزركلي، الأعلام، جـ٧، ص ١٥٤، وذكر محمد عبد الله عنان أن مقتله كان في أواخر ٧٩٧هـ، انظر : عنان، نهاية الأندلس، جـ٧، ص ٤٨٢، كما ذكر بروكلمان

أن وفاته كانت في أواخر ٧٩٥هـ أو بداية ٧٩٦هـ. انظر : تاريخ الأدب العربي، القسم السابع، جـ١٢، ص ٥١٩ .

(١٥) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، جـ٥، ص ١٨٠.

(١٦) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، جـ٢، ص ٣٠٣ .

(١٧) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، جـ٧، ص ١٦٤-١٦٥ .

(١٨) المصدر السابق، ص ٩٠ .

(١٩) ابن عمار، نحلة اللبيب، أخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة فونتانة، الجزائر، ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م، ص ٨٥ .

(٢٠) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات الأندلس، ص ٢١٠ .

(٢١) الحمصي، ابن زمرك الغرناطي، سيرته وأدبه، ص ٢٤١ .

(٢٢) المصدر السابق، ص ٢٤٢ .

(٢٣) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، جـ٧، ص ٤٨٢ .

(٢٤) المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٨٤ .

(٢٥) آنخل بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص٧٠ – ٧١ .

(٢٦) إميلو غرسيه غومس، مع شعراء الأندلس والمتنبي، ص ٢٢٧ .

(٢٧) المصدر السابق، والصحيفة.

(٢٨) آنخل بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلس، ص ٣١ .

(٢٩) المصدر السابق، ص ١٣٩ .

(٣٠) ابن زمرك، الديوان، تحقيق د. محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٧م.

(٣١) انظر : المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، جـ٢، ص ١٥ وما بعدها، ومحمد رضوان الدابة، المختار من الشعر الأندلسي، ص ٢٠٢ .

(٣٢) انظر : ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ٧، ص ٤١٢، والمقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، جـ١، ص ٤٥٠ – ٤٥١، ومحمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، جـ٧، ص ١٢١ وما بعدها .

(٣٣) هو محمد بن يوسف أبى الحجاج ، ثامن سلاطين بنى الأحمر فى الأندلس ، ولى الحكم بعد وفاة أبيه مباشرة ٧٥٥هـ ، كان له أخ غير شقيق يدعى "إسماعيل" استمال إليه جماعة من غرناطة نادوا به ملكا وخلعوا أخاه، ففر إلى المغرب وأقام عند السلطان أبى سالم المرينى سنة ٧٦٠هـ ، ثم أتيحت له فرصة لاستعادة ملكه السليب سنة ٧٦٣هـ ، فدخل غرناطة وثبت أقدامه ، وظل فى الملك إلى أن توفى سنة ٧٩٣هـ. راجع فى ترجمته : ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٤،ص٢٩١ ترجمة رقم ٨١٤ ، والزركلي، الأعلام جـ٧،ص١٥٣، وابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ص١٠٠ ، وابن الأحمر، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، ص٨٥ –٦٨ هامش رقم "١".

(٣٤) يوسف بن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر ، أبو الحجاج ابن السلطان المخلوع أبى عبد الله محمد الخامس "الغنى بالله" سلطان غرناطة ، تولى مقاليد الحكم بعد وفاة أبيه سنة ٧٩٣هـ ، وأراد السير على سياسة أبيه فى المحافظة على الهدنة مع ملوك النصارى ، فلم يتهيأ له ذلك ، وحدثت بينه وبين بعضهم مناوشات انتهت بعقد معاهدة صلح مع الملك الشاب هنرى الثالث ، استمر فى الحكم إلى أن توفى سنة ٧٩٤هـ. راجع فى ترجمته : الزركلي، الأعلام ج٨، ص٢٥١ .

(٣٥) هو محمد بن يوسف أبى الحجاج بن محمد الخامس الغنى بالله ، من ملوك الأندلس المغمورين ، تولى بعد أبيه سنة ٧٩٤هـ ، جلس على عرش غرناطة بعد أن سجن أخاه يوسف الثالث فى قلعة شلبونية فى غرناطة ، حيث كان يوسف الثالث هذا هو ولى العهد ، ولما توفى محمد السابع سنة ٨١٠هـ تولى أخوه يوسف الثالث الأمر من بعده ، وسيرة محمد السابع هذا لاتزال مجهولة ، كباقى السير والآثار فى نهاية عصر دولة بني الأحمر فيما بعد القرن الثامن الهجرى ، حيث لم يبق المسلمون هناك كثيراً ، بل رحلوا عنها كلية فى حدود سنة ٨٩٧هـ. انظر فى ترجمته : الزركلي، الأعلام جـ٧، ص١٥٤.

(٣٦) هو محمد بن عبد الله السلمانى، يكنى أبا عبد الله ويعرف بلسان الدين بن الخطيب ، ذو الوزارتين ،الطائر الصيت فى المشرق والمغرب، ولد عام ٧١٣هـ، ونشأ فى بيت علم، حيث كان جده "سعيد" عالما ورعا وكان أبوه "عبد الله" من أكابر العلماء والخاصة، تلقى علومه فى مملكة بني الأحمر وعين خطيباً لمسجد الحمراء ، فتصدر فيه للتدريس ، كان واسع الثقافة والمعرفة، كثير الإطلاع ، محيطا بوجوه كثيرة من فنون عصره ، فقد برع فى الأدب والتاريخ الفلسفة والسياسة والطب، ثم هو أديب ناثر وشاعر مطبوع، توفى مقتولا سنة ٧٧٦هـ . راجع فى ترجمته : ابن الخطيب، الإحاطة جـ١،ص٢٠ وما بعدها ، ج٤، ص٤٣٨، والمقري، نفح الطيب، ج٥، ص٧، وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٣، ص٤٦، وأحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٤٤٥، والزركلي، الأعلام، ج٦، ص٢٣٥ .

(٣٧) انظر تفاصيل ذلك في : ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، جـ٤، ص٦٣٥، و ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ٧، ص ٧٠١ وما بعدها، ومحمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، جـ٧، ص ١٤٥ وما بعدها، لسان الدين بن الخطيب، حياته وتراثه الفكري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٦٨م، ص ١٢٥.

(٣٨) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ١١٨ .

(٣٩) هو: الوزير المغربي أبو بكر بن غازي الكاسي، الذي استبد بالأمر في فاس بعد موت السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز عام "٧٧٤هـ "، ولما طلب منه السلطان الغرناطي الغني بالله تسليم

لسان الدين بن الخطيب إليه رفض وأقبح الرد . انظر : ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ٧، ص ٧٠١، ومواضع كثيرة من الكتاب .

(٤٠) هو: عبد العزيز بن علي بن عثمان المريني، يكنى أبا فارس، من ملوك الدولة المرينية بالمغرب "٧٦٧ – ٧٧٤ هـ ". قال الناصري السلاوي عنه: " هو الّذي أنعش دولة بني مرين بعد تلاشيها، وهو الّذي ذكره ابن خلدون في أول تاريخه الكبير، وألفه برسمه، وحلىّ ديباجته باسمه ". الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، المغرب، ج٤، ص٥٢ .

(٤١) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٤٠٥ .

(٤٢) انظر : ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ٧، ص ٧٠٨، ومحمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، جـ٧، ص ٤٧٨ وما بعدها .

(٤٣) هو: إبراهيم بن على بن عثمان المرينى ، يكنى أبا سالم ، ويعرف المستعين بالله ، من ملوك بنى مرين فى المغرب الأقصى ، كان أخوه أبو عنان "فارس" قد أرسل به إلى الأندلس ، حتى يمكن لابنه "السعيد" بالبيعة من بعده ، فاستقر بالأندلس إلى أن مات أبو عنان وبويع لابنه الطفل ، فركب أبو سالم البحر إلى ساحل المغرب ودعا أهل المغرب لمبايعته ، فأقبلوا عليه ، وكان وزير الدولة آنذاك "حسن بن عمر الفودوي" فخلع الطفل واستقبل أبا سالم مبايعاً سنة ٧٦٠هـ فاستقر فى فاس الجديدة ، وكان من رجاله "ابن خلدون" الذى ولاه كتابة سره ، لكن وزيره عمر بن عبد العزيز الفودوي، قاد ثورة ضد أبى سالم ، انتهت بمقتله سنة ٧٦٢هـ. انظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ٧،ص ٨٦٢ ، والزركلي، الأعلام ج١، ص٥٢ .

(٤٤) فاس : مدينة مشهورة من مدن بلاد المغرب ، وهى حاضرة البحر ، وأصل مدنه قبل أن تختط مراكش. انظر: شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى البغدادى، معجم البلدان، طبعة دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، د . ت، جـ٤،ص٢٣٠ ، والحميري، الروض المعطار،ص٤٣٤.

(٤٥) هو: أحمد بن إبراهيم بن على ، أبو العباس بن أبى سالم المرينى ، من ملوك الدولة المرينية بالمغرب ، كان مبعدا إلى طنجة ، ولما بويع ابن عمه السعيد بالله "محمد بن عبد العزيز" بفاس وكان صبيا ، قام أحمد من طنجة وساعده الغنى بالله وبعض بنى مرين فنزل على فاس وحاصرها إلى أن خلع السعيد بالله أول سنة ٧٧٦هـ فدخلها وبويع بها البيعة العامة ، بعد أن بويع بطنجة ٧٧٥هـ قبل خروجه منها ، راجع تفاصيل بيعته فى: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ٧، ص ٧٠٢ – ٧٠٧ ، وضعف أمام ابن الأحمر "الغنى بالله" فأصبح المغرب كأنه من أعمال غرناطة، وكان من شروط ابن الأحمر عليه أن ينزل له عن جبل طارق وأن يسلمه ابن الخطيب متى قدر عليه ، فنزل له عن طنجة ، وقبض على ابن الخطيب ، حتى قتل فى سجنه خنقاً ، وبعد أن استقر نحو عشر سنين تنكر له ابن الأحمر ، وتوالت الأحداث بينهما. راجع فى ترجمته : ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ٧،ص ١٠٣٠ هامش ١ ، وجـ٧ : ٧٠٢–٧٠٧ والزركلي، الأعلام جـ١، ص٨٧.

(٤٦) هو: على الله موسى بن يوسف "أمير المسلمين المتوكل"، يكنى أبا حمو كان من المهتمين بالأدب والعلم، وكان شاعراً أديباً، وهو من أمراء بنى زيان ملوك الجزائر، قال عنه صاحب نثير فرائد الجمان : هو الملك الذى ابتهجت بدولته الإمارة ، تمسك بالعلم فسما فى سماء المعالى ، وتحلى بالحلم ، فعلا على المعالى ، ولد فى غرناطة وكان أبوه مبعدا إليها ، وانتقل إلى تلمسان ، نشأ ذكيا فطنا ، وفد إليه ابن الخطيب ، فأكرم وفادته وآواه ، وامتنع من تسليمه لبلاط غرناطة ، قتله جيش أبى العباس أحمد المرينى سنة ٧٩١هـ. انظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ٧، ص٦٢٥ وما بعدها ، والمقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، جـ١ ، ص ٢٣٨ ، وابن الأحمر، نثير الجمان في نظم فحول الزمان، ص١١٠ ، والزركلي، الأعلام ج٧، ص٣٣١.

(٤٧) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٤١١ .

(٤٨) انظر : ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ٤، ص ٣٨٣ – ٣٨٤ .

(٤٩) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٥٠٨ .

(٥٠) انظر : المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، جـ٧، ص ١٦٧.

(٥١) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٣٥٤ .

(٥٢) المصدر السابق، ص٤٧٤ .

(٥٣) المصدر السابق، ص ٤٥ .

(٥٤) انظر : ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ٤، ص ٣٧٨، ومحمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، جـ٧، ص ٤٧٨ وما بعدها .

(٥٥) ابن زمرك، ديوان اين زمرك الأندلسى، ص٤٨٠.

(٥٦) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٥١ – ٥٢ .

(٥٧) هو : مسعود بن عبد الرحمن "رحو" بن ماساي، وزير مغربي، نعته السلاوي برئيس الفتنة وقطب رحاها. كان مختصاً بالأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن المريني، وأقام معه في مملكة بني الأحمر، أيام نفيه من فاس. واتصل بابن الأحمر "الغني بالله" فأولاه هذا ثقته. انظر: السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج٢، ص١٣٣.الزركلي، الأعلام،ج٧، ص٢١٨ .

(٥٨) انظر : محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، جـ٧، ص ١٤٧ – ١٤٨ .

(٥٩) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ١٦٠ – ١٦١ .

(٦٠) جيان : مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة مائلة عنها الى ناحية الجوف في شرقي قرطبة، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا . انظر : ابن سعيد،المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٥١، ومحمد بن عبدالله عنان ، دولة الإسلام فى الأندلس ، الآثار الأندلسية الباقية فى أسبانيا والبرتغال ، ص٢١٩ وما بعدها .

(٦١) محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، جـ٧، ص ١٤٨ – ١٤٩ .

(٦٢) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ١٦٧– ١٦٨. المقرب والمقربة :"الفرس إلى تدّنى وتقرب وتكرم ولا تترك، ومن الإبل التي حزمت للركوب" . الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م، ص١٢٣، السَّبلة :اللحية، عطا يعطو الظبي "تطاول برأسه للشجر ليتناول منه، الربرب :القطيع من بقر الوحش .

(٦٣) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٥٢ .

(٦٤) انظر : ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ٧، ص ٧٠٧ وما بعدها، ومحمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، جـ٧، ص ٤٧٨ وما بعدها .

(٦٥) انظر : ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ٤، ص ٣٦٦ وما بعدها .

(٦٦) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٩٨ – ٩٩ .

(٦٧) انظر : المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، جـ٥، ص ١٧٢ – ١٧٣، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج٢، ص٢٨ – ٢٩ .

(٦٨) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٤٠٣ – ٤٠٤ .

(٦٩) انظر : ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ٤، ص ٣٦٦ وما بعدها .

(٧٠) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص١٠٥ .

(٧١) بسطة : مدينة قديمة تقع بالقرب من وادي آش ولا تزال بها إلى الآن آثار عربية، تبعد عن وادي آش ٤٨ كلم، وكانت عاصمة ناحية زراعية خصبة، استرجعها الإسبان سنة ١٤٨٩م . انظر :الادريسي، نزهة المشتاق،ج٢،ص٥٦٨

(٧٢) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ١٠٦ – ١٠٧ .

(٧٣) انظر : ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، جـ٤، ص ٣٧٨ .

(٧٤) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٤٨ .

(٧٥) المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، جـ٢، ص ١٧ .

(٧٦) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٢١٧ – ٢١٨ .

(٧٧) انظر : ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ١ ، ص١٤٠ ، ومحمد بن عبدالله عنان ، دولة الإسلام فى الأندلس ، الآثار الأندلسية الباقية فى أسبانيا والبرتغال ، ص١٨٩ وبعدها.

(٧٨) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٢٤٠ .

(٧٩) انظر : لسان الدين بن الخطيب ، اللمحة البدرية فى الدولة النصرية ،ص٢١ ، وابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، ج٤ ،ص١٧٠ ، وحسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار ومطابع المستقبل ، القاهرة ، طـ١ ، ١٩٨٠م ، ص٣٨٣. ومحمد عبد الله عنان ، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، جـ٧ ، ص٣٨.

(٨٠) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٣٠٧ .

(٨١) انظر : ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، ص٢٩٠ – ٢٩٨ .

(٨٢) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٣٨١ – ٣٨٢ .

(٨٣) انظر : ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٣٨٩، ٤٤٠، ٥٠٩ .

(٨٤) المرية : مدينة بين مملكتى مالقة ومرسية ، ذات أسوار عالية وقلعة منيعة شامخة ، هواؤها معتدل ، يصنع فيها حرير يفوق الجمال. انظر القلقشندي، صبح الأعشى جـ٥ : ٢١٠.

(٨٥) انظر : المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، جـ٧، ص ١٦٧.

(٨٦) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٣٨٨ – ٣٨٩ .

(٨٧) المصدر السابق، ص ١٣٤ .

(٨٨) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص ٦٦ .

(٨٩) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ١٠٦ – ١٠٧ .

(٩٠) المصدر السابق، ص ٣٨٩ .

(٩١) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ط٢، ١٩٧٨م، ص ٧ .

(٩٢) محمد عبد المطلب، قراءة أسلوبية في الشعر الحديث، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ١٦٢ .

(٩٣) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٤٦.

(٩٤) سورة الفتح، آية/١ .

(٩٥) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٣٧٢.

(٩٦) سورة النساء آية/١٠٣ .

(٩٧) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٤٨٦ – ٤٧٨ .

(٩٨) سورة الملك، آية/٥.

(٩٩) سورة الجن الآية/٨-٩ .

(١٠٠) صلاح الدين الهادي، الأدب في عصر النبوة والراشدين، مكتبة دار العلوم، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٨٠ .

(١٠١) ينظر : أحمد سليم الحمصي، ابن زمرك الغرناطي سيرته وأدبه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص ٢٣٠ .

(١٠٢) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٤١٨.

(١٠٣) المصدر السابق، ص ٤٣٩.

(١٠٤) مسلم بن الحجاج النسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، جـ٣، ص ١٢٣ .

(١٠٥) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٣٧٠.

(١٠٦) القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص ١٨٦ .

(١٠٧) محمد فتوح أحمد، واقع القصيدة العربية، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م، ص ٦١.

(١٠٨) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٤٨٧.

(١٠٩) مصطفى السقا، مختار الشعر الجاهلي، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٩١/١٩٧١هـ، ط٤، ص٣٦٩.

(١١٠) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٥٤ .

(١١١) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، ج٢، ص٣٠٦ .

(١١٢) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٤١٠.

(١١٣) أبو نواس، ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، ص٢٧.

(١١٤) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٣٦٨.

(١١٥) حنا الفاخوري، الحكم والأمثال، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٩م، ص ١٧ .

(١١٦) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ج٢، ص٣٥٣ .

(١١٧) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٣٦٥.

(١١٨) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص ١٩ .

(١١٩) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٤٩٤، قيس بن الملوح، وذو الرمة الشاعر .

(١٢٠) المصدر السابق، ص٣٠٧.

(١٢١) المصدر السابق، ص٤٠٨.

(١٢٢) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٢٤٠.

(١٢٣) المصدر السابق ، ص٤٦٤.

(١٢٤) المصدر السابق، ص٣٩٢.

(١٢٥) المصدر السابق، ص٥٠٠.

(١٢٦) ينظر : ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٤٤، ٦١، ٦٦، ٦٧، ٧١، ٧٧، ٨٢، ٨٣، ٩٣، ١٠١، ١٠٨، ١٢١، ١٣٠، ١٣٨، ١٥٣، ١٦٤، ١٨٧، ١٨٩، ٢٠٦، ٢٤٢، ٢٨١، ٣٣٨، ٣٦٤، ٣٨٠، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٧٨.

(١٢٧) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص١٢٠.

(١٢٨) انظر: ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٨٠، ١٠٣، ١٢٠، ١٢٢، ١٦٥، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١١، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٦٢، ٢٦٧، ٣٣٥، ٣٤١، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٨١، ٣٩١، ٤١٢، ٤٥١، ٤٧٠، ٤٨٢، ٤٩٣.

(١٢٩) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٤٤٠. ينظر أيضاً : الديوان، ص١١٧/١١، ٢٠٤/٦، ٢٠٥/٢١، ٢١٦/٢١، ٢٧١/ق٢٣٩، ٢٧٥/٩، ٢٩١/ق٢٦٢، ٣٤٨/١٦ .

(١٣٠) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص١٧٤. ينظر أيضاً : الديوان، ص ٤٧، ٥١، ٥٤، ٦٥، ٧٢، ٧٩، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٦، ١١٥، ١١٧، ١٢٣، ١٤٠، ١٤٢، ١٦٣، ١٦٩، ١٨٤، ١٩٥، ٢٩٧، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٨٠، ٤٤٥، ٥١١ .

(١٣١) طه عبد الحميد زيد، الصورة الشعرية عند عمر أبي ريشة، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٨٠ .

(١٣٢) عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٦٤م، ص ٣٩١.

(١٣٣) المرجع السابق، ص ٣٩١ .

(١٣٤) عبد الفتاح عثمان، التشبيه والكناية بين التنظير البلاغي والتوظيف الفني، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٨ .

(١٣٥) محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي والبلاغة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٧م، ص ١٠٨ .

(١٣٦) عفيف عبد الرحمن، الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ص ٣٤٨ .

(١٣٧) رفعت السوداني، علم البيان، طبعة ١٤١٨هـ/١٩٩١م، ص ١٧ .

(١٣٨) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٤٣٦.

(١٣٩) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٣٨٩.

(١٤٠) المصدر السابق، ص٣٦٩.

(١٤١) المصدر السابق ، ص٢٨٨.

(١٤٢) المصدر السابق ، ص٢٨٧.

(١٤٣) انظر : مدحت سعد الجيار، الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، ص ١٣٣ .

(١٤٤) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٣٩٠.

(١٤٥) المصدر السابق، ص٤٥٢.

(١٤٦) عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، جامعة اليرموك، ط١، الأردن، ١٩٨٠م، ص ١٦٨ .

(١٤٧) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٣٩٢.

(١٤٨) المصدر السابق، ص٤٦٢.

(١٤٩) عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ص ١٩٦ .

(١٥٠) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٤٤١.

(١٥١) بسيوني عرفه فيود، الصورة البيانية وقيمتها البلاغية، دار الرسالة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٣٧٦ .

(١٥٢) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٤٨٠.

(١٥٣) المصدر السابق، ص٤٣٠.

(١٥٤) المصدر السابق، ص٤٨٥.

(١٥٥) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٤٥٢.

(١٥٦) عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م، ص ٩ .

(١٥٧) ابن رشيق، العمدة فى محاسن الشعر وآدابه، جـ٢، ص ٥.

(١٥٨) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٤٩٢.

(١٥٩) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٥٢٢. ينظر أيضاً : الديوان، ص٢٢٢، ٤٤٨ ، ٤٩٢ ، ٥٠٣ ، ٥٢٠ ، ٥٢٩.

(١٦٠) انظر: بسيوني فيود ، علم البديع ، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٨م ، ص ٢٧٨.

(١٦١) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص١٩٣.

(١٦٢) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٥١٩.

(١٦٣) انظر : عبد العزيز عتيق، علم البديع، ص ٢٥ .

(١٦٤) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٤٨٧. ينظر أيضاً : الديوان، ص ٥٨ ، ٧٣ ، ٩٩ ، ١٣١ ، ١٥٠ ، ١٦٠ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٥٤ ، ٢٧٧ ، ٢٩٣ ، ٣٠٤ ، ٣١٨ ، ٤١٢ ، ٤١٩ ، ٤٥٥ ، ٤٦٤ ، ٤٧٦ ، ٥٣١ .

(١٦٥) ابن رشيق، العمدة فى محاسن الشعر وآدابه، جـ٢، ص ٢٦ .

(١٦٦) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٤٥١.

(١٦٧) ابن رشيق، العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ، جـ٢، ص ٢٦ .

(١٦٨) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٣٩٥. ينظر أيضاً : الديوان، ص ٤٤ ، ٥٩ ، ١٢١ ، ١٥٠ ، ١٦٥ ، ١٧٧ ، ١٩١ ، ٣٥٧ ، ٣٨٩ ، ٤٠٠ ، ٤١٢ ، ٤٥٤ ، ٤٩٥ ، ٤٨٤.

(١٦٩) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٥٠٩. ينظر أيضاً : الديوان، ص ٤٤ ، ٤٧ ، ١٢٠ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤٧٠ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، .

(١٧٠) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٣٦٢. الكباء : نوع من العيدان التي يتبخر بها، انظر لسان العرب مادة (كبا) . ينظر أيضاً : الديوان، ص ٥٠ ، ٥٧ ، ٧٣ ، ٨٥ ، ١٠٣ ، ١٣٢ ، ١٤٧ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٣٧٩ ، ٤٩٧ ، ٥٠٠ ، ٣٦٢ .

(١٧١) أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص ٤٢٩ .

(١٧٢) الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص ٤٠٧ .

(١٧٣) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص٤٨٧. ينظر أيضاً : الديوان، ص ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٩ ، ١٣٤ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٤٨٠ ، ٥٢٣ .

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

١- **ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد ت ٨٠٧هـ)**، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تحقيق : د. محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧م.

- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق : د. محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٧٦م.

٢- **الجرجاني (علي بن عبد العزيز ت ٣٩٢هـ)**، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦م .

٣- **الحميري (محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ت ٨٦٦هـ)**، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقق ليفي بروفنسال جزءاً منه، ونشره تحت عنوان صفة جزيرة الأندلس، وصححه د. محمد فؤاد عبد الباقي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧م.

٤- **الحكمي (الحسن بن هانئ ت ١٩٩هـ)**، ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .

٥- **ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي ت ٧٧٦هـ)**، الإحاطة في أخبار غرناطة، ٤ أجزاء، تحقيق د. محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ٢٠٠١م.

- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣م.

- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧هـ.

٦- **ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت ٨٠٨هـ)**، التعريف بابن خلدون، ورحلته شرقاً وغرباً، تحقيق د. محمد بن تاويت الطنجي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١م.

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧ مجلدات، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣م.

- مقدمة ابن خلدون، ٤ أجزاء، تحقيق د. علي عبد الواحد وافى، لجنة البيان العربي، ط٢، ١٩٦٥م.

٧- **ابن خلكان (أحمد بن محمد الإربلي ت ٦٨١هـ)**، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٧٢م .

٨- **ابن زمرك (محمد بن يوسف الصريحي ت ٧٩٧هـ)**، ديوان ابن زمرك الأندلسي، تحقيق محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م .

٩- **السلاوي (أحمد بن خالد الناصري ت ١٣١٩هـ)**، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ٩ أجزاء، تحقيق د. جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب بالدار البيضاء، المغرب، ١٩٥٤م.

١٠- **العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر ٨٥٢هـ)**، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق د. محمد سيد جاد الله، مطبعة المدني، القاهرة، ط٢، ١٩٦٦م.

١١- **العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ت ٣٩٥هـ)**، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق د. البيجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٢م.

-جمهرة الأمثال، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان .

١٢- **ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي ت ٩٦٠هـ)**، درة الحجال في أسماء الرجال، ٣ أجزاء ، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٧١م.

– جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، جزءان، دار المنصورة للطباعة والنشر، ١٩٧٣م.

١٣– **القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ)**، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ جزءا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٤– **القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق ت ٤٦٣هـ)**، العمدة في صناعة الشعر ونقده، جزءان، تحقيق د. محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م .

١٥– **ابن منظور (محمد بن مكرم ت ٧١١هـ)**، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

١٦– **المقري (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني ت ١٠٤١هـ)**، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٨ أجزاء، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

– أزهار الرياض في أخبار عياض، ٣ أجزاء، تحقيق د. مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الجزء الأول ١٩٣٩م، والجزء الثاني ١٩٤٠م، والجزء الثالث ١٩٤٢م.

١٧– **النباهي (أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن ت ٧٩٣هـ)**، المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا، تحقيق ليفي بروفنسال، ونشره تحت عنوان تاريخ قضاة الأندلس، دار الكاتب المصري، القاهرة، ١٩٤٨م.

١٨– **النسابوري (مسلم بن الحجاج ت ٢٦١هـ)**، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٩– **الهاشمي (أحمد بن إبراهيم ت ١٣٦٢هـ)**، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م .

ثانياً: المراجع:

٢٠– **أحمد (محمد فتوح)**، واقع القصيدة العربية، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م .

٢١- **البستاني (بطرس)**، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٩م.

٢٢- **بركلمان (كارل)**، تاريخ الأدب العربي، ترجمة غريب محمد غريب وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.

٢٣- **بالنثيا (أنخل جونثالث)**، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة د. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٢٤- **التنبكتي (أحمد بابا)**، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط١، ١٩٨٩م .

٢٥- **الجيار (مدحت سعد)**، الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥م.

٢٦- **الحمصي (أحمد سليم)**، ابن زمرك الغرناطي ، سيرته وأدبه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

٢٧- **الداية (محمد رضوان)**، المختار من الشعر الأندلسي، دار الفكرالعربي، دمشق، ط٣، ١٩٩٢م.

٢٨- **الزركلي**، الأعلام "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م.

٢٩- **زايد (طه عبد الحميد)**، الصورة الشعرية عند عمر أبي ريشة، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٩٩م.

٣٠- **زايد (علي عشري)**، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ط٢، ١٩٧٨م .

٣١- **الرباعي (عبد القادر)**، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، جامعة اليرموك، الأردن، ط١، ١٩٨٠م .

٣٢- **السقا (مصطفى)**، مختار الشعر الجاهلي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط٤، ١٩٧١م.

٣٣- **السوداني (رفعت)**، علم البيان، ط١، ١٩٩٨م.

٣٤- **ضيف (شوقي)**، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات (الأندلس)، دار المعارف، مصر، ١٩٨٩م.

٣٥- **العشماوي (زكي)**، قضايا النقد الأدبي والبلاغة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٧م .

٣٦- **عبد الرحمن (عفيف)**، الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٤م.

٣٧- **عبد المطلب (محمد)**، قراءة أسلوبية في الشعر العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م.

٣٨- **عتيق (عبد العزيز)**، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٥م .

٣٩- **عثمان (عبد الفتاح)**، التشبيه والكناية بين التنظير البلاغي والتوظيف الفني، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٩٣م .

٤٠- **عنان (محمد عبد الله)**، لسان الدين بن الخطيب، حياته وتراثه الفكري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٦٨م.

- دولة الإسلام في الأندلس، ٨ أجزاء، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٤١- **غرسيا غومس (إميليو)**، مع شعراء الأندلس والمتنبي، سير ودراسات، ترجمة د. الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م.

٤٢- **فروخ (عمر)**، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٣م .

٤٣- **فيود (بسيوني عرفة)**، الصورة البيانية وقيمتها البلاغية، دار الرسالة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٢م.

- علم البديع، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، مؤسسة المختار، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م.

٤٤- **القط (عبد القادر)**، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة المصرية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٦٤م.

٤٥- **كحالة (عمر رضا)**، معجم المؤلفين"تراجم مصنفي الكتب العربية"، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م.

٤٦- **مؤنس (حسين)**، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، ط١، ١٩٨٠م.

٤٧- **الهادي (صلاح الدين)**، الأدب في عصر النبوة والراشدين، مكتبة دار العلوم، القاهرة، ١٩٧٨م.

Abstract

The research seeks to highlight the historical documentary value of the Andalusian "Ibn Zamrak". Our poet lived in the eighth century AH, the fourteenth century AD, and witnessed the various events that took place in the shadow of the Kingdom of Bani al-Ahmar, political, intellectual, social and economic events under the sultans and successors of the Nasrid House. Among them are Sultan Al Ghani Billah, Sultan Abi Al-Hajjaj Yusuf ll, and Sultan Muhammad vll. Some of these events were referred to in the history books, and some of them were overlooked. In addition to the relatuons witnessed in that period between the Kingdom of Bani al-Ahmar with its neighbors from the Moroccan and Castilian Odwa. All of these events were reflected in his poetry through which he monitors many names and places and mentions many important dates, so that his poetry becomes through all of that an important historical document.

The right century AH, the fourteenth century AD witnessed a remarkable progress in the field of poetry and prose, which was progressed by the successors and sultans of the Nasrid House. The Sultan Al Ghani Billah was famous for protecting literature, arts and sciences, following in the footsteps of his father, Sultan Abi Al-Hajjaj Yusuf l, as well as Sultan Abi Al-Hajjaj Yusuf ll and Sultan Muhammad vll.

The poetry of the Andalusian "Ibn Zamrak" was a reflection of the various events under these successors and sultans. Our poet stayed with Sultan Muhammad V, nicknamed Al-Ghani Billah, for thirty-seven years, three in Morocco, and the rest in Andalusia. Ibn Zamrak continue as a minister to both Sultan Abi Al-Hajjaj Yusuf and Sultan Muhammad vll.

In Zamrak's poetry is a rich material worthy of study and research, as his poetic output reflected the ability to conjugate meanings and efficiency in adapting styles. And that made him a historical documentary literary value rich in in important historical events

and record of political coups, rivalries and war events that took place between the Kingdom of Bani al-Ahmar and the Spanish Christian. Thrle Diwan of Ibn Zamrak is an important source in the protection of literary and historical source that spoke about the Kingdom of Bani al-Ahmar.

Keywords:Andalusian poetry. Ibn Zamrak. Historical document. The eighth century AH. The Sultans of Bani al-Ahmar. The places of Al-Hamraa. Poetry poems. Poetry criticism .